١٨

مجلة
روايات أحلام

الدوامة

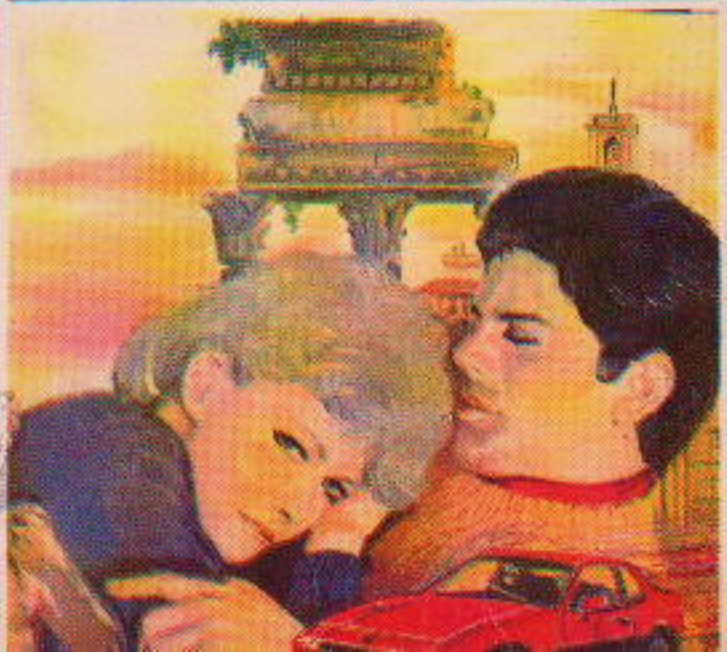

مجلة روايات أحلام

الحوامة

الجراح تكون أكثر إيلاماً إذا كانت ممن نحب.

جيني التي عذبتها ودمّرتها خيانة زوجها لها، عانت الكثير من هذه الآلام.

لكن... هل يخبو حبها له بعد انفصال خمس سنوات، أم يعود القدر ليجمعهما من جديد؟

وهل تتزوج من غرانت، الرجل اللطيف المحب، أم تعود لتشتعل بنار الحب والغيرة مع روبرتو بوجود طفله الذي يذكرها بخيانته لها؟

إنها تحبه وتكرهه، فكيف يمكن أن يجتمع الحب والكراهية في قلب واحد؟

لبنان ٥٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٣ ج.	ليبيا ١ د.
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٩ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ٥٥٠ م.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عُمان ٦٠٠ ب.	العراق

NOOR

١ ـ طوق من نار

رن جرس الهاتف بينما كانت جيني تضع اللمسة الاخيرة على رسمها لزي جديد... وتأففت بنفاذ صبر. أكثر ما يغيظها أن يقاطعها أحد وهي تعمل، مما يقطع عليها تركيزها.

ووضعت القلم بين أسنانها وسارت بسرعة إلى الهاتف.

ـ نعم..؟

ـ هل لي أن أتحدث مع الآنسة جيني نيوهام؟

في الصوت لكنة أجنبية، وشيء من التردد. بدا على وجه جيني القلق والصدمة. فقالت وهي تنزع القلم من فمها:

ـ هي. من تتحدث.

ـ جيني؟

ـ من يتكلم؟

ـ إيڤا.

وسارعت المرأة لتضيف وكأنما خشيت أن تقفل جيني الخط:

ـ أنا مضطرة للاتصال بك.. إن روبرتو...

فقاطعتها جيني بخشونة:

ـ لن أتحدث عنه... لا الآن ولا أبداً... لقد قلت لك من قبل إيڤا. لا أريد جرح مشاعرك.. فانا اعرف أن قصدك الخير، ولكني لم أعد أعير ابنك أي اهتمام..

وردت إيڤا بصوت مختنق بدا وكأنه البكاء:

ـ لم تفهمي قصدي جيني.

فردت جيني ببرود:

ـ بل أفهم جيداً.. أوه.. لا تبكي إيڤا! لا يجب أن تدعي الأمر يكدرك. روبرتو لا يستحق ذلك مطلقاً.

وعاد صوت البكاء أعمق من قبل، ومسحت جيني شعرها بيدٍ مرتجفة:

ـ إيڤا. بحق الله لا تبكي! أنا آسفة.

وهمس الصوت المرتجف المخنوق:

ـ إنه يموت... يموت يا جيني.

وللحظات وقفت جيني شاردة تنظر إلى السماء الرمادية... وبدأ تأثير الصدمة يظهر، فتقلصت معدتها، واتسعت عيناها، وصرخت غير مصدقة.

ـ ماذا تعنين؟

بالكاد استطاعت أن تلفظ الكلمات، فقد خرجت وكأنها همسة شبح من بين شفتيها الشاحبتين من شدة التأثر. وأصدرت إيڤا نحيباً جديداً وقالت:

ـ كان يقود سيارته عندما انزلقت وانقلبت به، إذ فوجىء بصهريج زيت منقلب على الطريق. وكان هو اول الواصلين ولم يلاحظ هذا إلا بعد فوات الأوان.. وأمضى المسعفون ساعتين لإخراجه. إنه شديد الشحوب لفقدانه الكثير من الدم.

ـ اوه يا إلهي! هل هو فاقد الوعي؟

ـ لهذا أتصل بك.. لقد استعاد وعيه منذ لحظات وأول شيء تلفظ به هو اسمك.

ـ اسمي؟

واغمضت جيني عينيها بأسى. وتابعت إيڤا الحديث بسرعة وكأنها تخاف من أن تقفل جيني الخط:

ـ سأل عنك، ومتى ستأتين... جيني إنه يعتقد أنك ما زلت زوجته.

وطال الصمت بينهما، وانفاس جيني تتقطع، والالم في عينيها. ثم سألت بخشونة:

ـ لمَ تقولين هذا؟

ـ إن الأمر واضح.. لقد قال: أين جيني؟ أين زوجتي؟ في البداية ظننته يهلوس.. وبعد حين أدركت أنني مخطئة... جيني لقد فقد ذاكرته. نسي أي شيء حدث له خلال الخمس سنوات الماضية.. نسي أندرو... وعندما ذكرت اسمه أمامه لم يعرفه فأصبت بالصدمة، إنني خائفة.

ـ وهل كان واعياً للحادثة.

ـ يقول الأطباء نعم... ولكن الإصابة في رأسه خطرة. لقد أجروا له عملية عند وصوله المستشفى، ويقولون إنهم خفضوا من الضغط على الدماغ.. ولكن من يعلم؟

ورطبت جيني شفتيها:

ـ قلت.. قلت إنه يموت. هل هذا رأي الأطباء؟

ـ انت تعرفين الأطباء جيني، إنهم لا يعطون الجواب الصحيح، ويراوغون دائماً. ولكنك ترين الأمور بادية على وجوههم، ينظرون اليك فتعرفين كل شيء بوضوح.

ـ ولكن ماذا قالوا؟

ـ أوه... إنه ليس على ما يرام.. إنه مصاب بشكل خطير..

NOOR

كما قالوا لي، والآن قالوا إذا استطعت المجيء.. سيكون هذا افضل.

ـ اذا استطعت؟

واتسعت عيناها، وأصبح اخضرارهما شديداً مقارنة مع بياض بشرتها.. وعضت على شفتها وقالت ببطء:

ـ ايڤا.. لا يمكنني الحضور.

ـ إنه يسأل عنك طوال الوقت، يريد أن يعرف لِمَ لم تزوريه.اوه.. جيني.. ألا تستطيعين فهمي؟ إنه يعتقد أنك كنت معه في السيارة ساعة الحادثة، وأنك مُت، وأننا نخفي الخبر عنه.

راقبت جيني عصفوراً طار من على شجرة قريبة، فارداً جناحيه دون صعوبة. يرتفع وينجرف مع الهواء الحار.. إنها لا تستطيع التفكير بروبرتو سوى انه قوي وشرس، ولا تستطيع أن تتصور بأنه سيموت. فهو دائماً كان بالنسبة لها مفعم بالحياة. ثم تابعت إيڤا:

ـ أعلم أن معاملته لك كانت سيئة.

الملاحظة جعلت شفتي جيني تلتويان بمرارة وقالت قبل أن تستطيع منع نفسها:

ـ ما هذا التصريح المتأخر!

ـ ولكنه يموت! لا يمكنك رفض رؤيته.. جيني.. تعرفين أنه لا يمكنك.

صحيح.. إنها تعرف، وهذا ما جعلها غاضبة، وقد غلّف الحزن نظراتها، وهي تتطلع من النافذة، وتابعت إيڤا بسرعة:

ـ سأرسل لك سيارة. وكل ما عليك فعله أن تقفي قرب سريره لبضع لحظات ليرى أنك سالمة.. وهذا لن يؤذيك يا جيني.

كان في كلامها سخرية خفيفة، أدهشت جيني، فلطالما كانت

إيڤا لطيفة معها.. فقالت بقلق:

ـ لا بأس.

فتنهدت إيڤا ارتياحاً. أقفلت جيني الخط، وأخذت تحدق في السماء.. المطر بدأ ينهمر، رذاذ خفيف ينقر الزجاج وكأنه الاصابع.

لم تر روبرتو منذ خمس سنوات.. ولقد عانت كثيراً لتتخلص من ذكراه ولتمسح طيفه من عقلها الباطن.. كانت تحلم به ليلة بعد ليلة ولسنوات.. كارهة نفسها لعدم قدرتها على السيطرة على مخيلتها.

التقيا وكانت لا تزال صغيرة.. لا خبرة لها بالحياة.. وتقبلت طابع شخصيته الأكبر سناً والأقوى دون أن تدرك حتى ما كان يحدث لها. روبرتو، وبطرق كثيرة، كان يجعلها طيّعة له.. يعيد قولبتها وكأنه النحات يقولب الصلصال الطري. يتمتع بفرض الغموض عليها.. ولقد مرت بنوع من الصراع الداخلي مع نفسها عندما حاولت التخلص من سيطرته.

لقد كانا متناقضين... كان شديد السمرة بقدر ما هي شديدة الشقار.. مسيطر على نفسه بينما هي متقلبة.. هو متصلب شرس لا يلين بينما هي حساسة وسريعة العطب... ومن الجنون أصلاً أنها انجذبت اليه.. ولكنها أصيبت بالدوار لوجوده كالفراشة أمام الضوء الساطع، لا تهتم أن تحرق جناحيها.. وروبرتو اغتنم كل ما فيها من ضعف ليتمسك بها دون رحمة.

تستطيع أن ترفض الذهاب... بالطبع... ولكن إذا كان يموت.. فهل ستستطيع الرفض؟ قد لا تستطيع مواجهة عالم هو ليس فيه. حتى كراهيتها له تعطيها سبباً للحياة.

NOOR

تخلصت من دائرة أفكارها المجنونة القاسية، ونظرت إلى ثيابها. الملطخة بالدهان.. يجب أن تغير ثيابها وغطت رسومها، ثم دخلت الحمام، خلعت ملابسها واستحمت، ثم ارتدت فستاناً صوفياً أخضر اللون قاتماً.

عندما سمعت رنين جرس الباب كانت جاهزة، فتحت الباب فإذا بها أمام شاب صغير خطا الى الامام وقال مقطبا:

ـ مرحبا جيني.

ـ هل أنت جوليان؟

لم تستطع أن تصدق أنه ذلك الشاب اليافع أين الخمسة عشرة سنة عندما قابلته آخر مرة... أين التصرفات الخرقاء، والبثور والبشرة الناعمة، من هذا الشاب ذي الأعوام العشرين، الأنيق الرقيق، بشعره الذي يصل إلى ياقة قميصه؟.. شبهه بأخيه أكثر بروزاً الآن من ذي قبل..

ـ كيف حالك جوليان؟

ورد عليها بصوت خشن:

ـ أنا بخير.

كان دائماً متعلقاً بأخيه، فهم عائلة مترابطة:. الباستينو لهم علاقة متينة منسوجة بدقة. ولقد وجدت جيني صعوبة كبيرة في البداية في الانتساب لهذه العائلة.. وأحست في البداية بالمقاومة لها.. والعدائية.. وحتى الغيرة.. وبالتدريج أحست أنها تلبس ثوبهم، ولكن في النهاية لم تعد تستطيع الاحتمال.

وأخذ جوليان منها المعطف الذي تحمله وساعدها على ارتدائه، وقال:

ـ السماء تمطر.. ولدي مظلة، سنضطر إلى الركض نحو

السيارة عندما نخرج.

كان قد مضى زمن طويل لم تركب جيني فيه سيارة فخمة كهذه السيارة، ونظرت ساخرة إلى الفرش الأبيض المنجد، وإلى لوحة العدادات اللماعة وكأنها صنعت لطائرة حربية.

وملس جوليان شعره الأسود إلى خلف، واستدار لينظر اليها.

ـ تبدين أكثر جمالاً مما أذكرك جيني.

كان في عينيه وميض إعجاب وهما تحومان حولها لتستقرا قليلاً عند الساقين اللتين برزتا من تحت حافة الفستان. وكان يمكن أن تجد اهتمامه الرجولي بها مثيراً لولا أنه ذكرها بأول لقاءٍ لها مع أخيه. وسألته:

ـ كيف حاله وهل شاهدته؟

ـ لقد رأيته. وماذا أستطيع أن أقول.. يبدو بحالة رهيبة.. لقد أحسست بالدوار عندما وقفت قرب سريره وشاهدت عن كثب ما حدث له. لطالما كان رجلاً قوياً، والآن قد أصبح حطاماً.

فارتعدت جيني!

ـ أنا آسفة!

ـ هل أنت آسفة حقاً؟ أتساءل.

فاتسعت عيناها:

ـ وماذا تعني؟

ـ أنت تكرهينه وانا لا ألومك، فلديك أسبابك، ولكن أرجوك، لا تدّعي الحزن وأنت لا تشعرين به. لا بأس بذلك أمام أمي، فهي رقيقة القلب لتصدق بأنك لا زلت مهتمة.. أما أنا فلا أطيق الكذب. فلو كنت مكان روبرتو، ولو كنت أموت، فلن أرغب في أن تبكي قرب سريري.

NOOR

فلمعت عيناها الخضراوان غضباً:

ـ لم أكن يوماً ممثلة بارعة لأدعي أي شيء جوليانو.. فانا ذاهبة لأراه لأن والدتك توسلت إليّ.. ولأجل راحة نفسي قبلت.. إنها فكرة سخيفة ان أراه ثانية. لو انه في وعيه لما فكرت بالأمر. ولكن إيفا رجتني، وانا مولعة بأمك جداً.

كان لجوليانو بقية من ذوق ليخجل، فاحمّر وجهه، ووضع يداً معتذرة على ذراعها.

ـ جيني... ارجوك.. انا آسف حقا. انها الصدمة لرؤيته هكذا، جعلتني اعتقد ان لا شيء آمن، لا شيء ثابت.. لقد كان دائماً صخرة العائلة.. الأقوى بيننا كلنا، كان بالنسبة لي الأب منذ وفاة والدي.

أجفلت جيني لهذه الذكرى.. فهي لا تريد ان يذكرها اي شيء بأنطونيو باستينو. فقد كان عدوها منذ البداية، وآخر مرة رأته فيها أهانها بمرارة وأذلها. ولم يخفف موته بعد ذلك بأشهر من شعورها بالكراهية له.

ـ ألا يجب ان نذهب الآن؟

ـ أوه.. اجل. بالطبع.

بعد لحظات من انطلاقهما سألته:

ـ ماذا تفعل الآن جوليانو... أتعمل في المؤسسة؟

ـ بالطبع.. وما غيره؟

فرددت بسخرية:

ـ وما غيره..

ـ أعمل هنا في نيويورك.

ـ أوه.. لم أكن أعلم هذا.. منذ متى أنت هنا؟

ـ منذ سنة. أمضيت سنة في لندن مع روبرتو ثم أرسلني الى هنا لأكتسب المزيد من الخبرة.

ـ وهل تعجبك السكنى في نيويورك؟

ـ ليست مثل روما.

وابتسم.. فابتسمت بدورها:

ـ صحيح.

ـ أنا مشتاق للشمس.

ـ وهل ستعود إلى لندن أم ستقيم هنا؟

فهز كتفيه:

ـ هذا عائد لقرار روبرتو.. إذا عاش.

وساد صمت متوتر، مرفق بأفكار صامتة، ثم ردت عليه بغضب:

ـ بالطبع سيعيش! لا تستسلم جوليانو، فروبرتو لن يسمح لك بهذا لو عرف. يجب أن نؤمن بأنه سيتحسن.

ـ ولكنك لا تصدقين هذا وإلا لما جئت.

بساطة رده صدمتها، ونظرت الى الطريق متنهدة والدموع تنهمر من عينيها. انه محق، انها تتظاهر بالهدوء، لكن في الحقيقة. إنها تشعر بالبؤس يملأ نفسها ولا تجرؤ على البوح به.

توقفت السيارة بهما خارج أبواب المستشفى الزجاجية، وخرج ليساعدها على النزول واضعاً ذراعه تحت مرفقها، وقال:

ـ يجب ان أوقف السيارة بعيداً. انتظري هنا.. لن أتأخر.

صحيح أن المطر توقف ولكن السماء ما زالت مكفهرة، وكأن المزيد من المطر يتجمع تحت الغيوم. وعاد جوليان بسرعة ليمسك بذراعها ثانية.. وسارا عبر المدخل المكتظ نحو مصعد في

NOOR

المؤخرة. ودخل وراءهما جمهرة من الناس، وما ان توقف المصعد حتى بدأ جوليان يشق طريقه معتذراً ليخرجا. ولحقت به جيني، قلبها يدق بقوة جعلتها تظن أن كل من كان بقربها قد سمعه.

إنها لم تشاهد روبرتو منذ خمس سنوات.

ودخل بها جوليان الى غرفة الانتظار. أحست بالقشعريرة.. أسرعت إيڤا راكضة نحوها، وذراعاها مفتوحتان.

ـ جيني.. أوه يا عزيزتي!

و عانقتا.. الخد على الخد، رأس إيڤا الأسود أقصر من رأس جيني الأشقر بقليل. كانت قد نسيت كم أن إيڤا صغيرة الجسم، فبين ذراعيها بدت العجوز كالطفل لصغر بنيتها. وتراجعت جيني عنها لتنظر الى البشرة السمراء والعينين البنيتين اللتين تحملان الحزن والألم. وبدت إيڤا أكبر سناً، فمنذ خمس سنوات كانت متوسطة العمر تمضي أوقاتاً طويلة أمام المرآة لتظهر أصغر سناً. اما الآن فهي تبدو مسنة. لقد انقض الزمن عليها كالذئب، فحرمها من حيويتها. وخسرت من وزنها، وتجور خداها، وأصبحت عيناها أعمق تحت حاجبيها السوداوين الكثيفين... وقالت إيڤا مرتجفة محاولة الابتسام:

ـ كم اشتقت لك.

ـ وأنا كذلك.

ـ كم هي الحياة ساخرة.. أخيراً عدنا والتقينا.. ولكن الأسباب مريعة!

ونظرت جيني الى من حولها في الغرفة: آنا تعرفها، لم تتغير أبداً ولا شعرة منها تغيرت. كانت تجلس منعزلة، انها الفتاة الوحيدة في العائلة. وجهها الممتلىء هادىء لا ينم عن شيء وعيناها

NOOR

السوداوان دون أي تعبير. إنها اكبر ببضع سنوات من روبرتو، ومتزوجة من مهندس ايطالي.. زواجهما سعيد، ولديهما اربعة اولاد، كما كانت تعرف آخر مرة. ثلاثة أبناء وبنت. ولكن الاولاد بكل تأكيد لا يحملون اسم باستينو ولذلك لا حساب لهم، وآنا تعرف هذا وتمتعض منه. كانت تكره جيني، لأنها لو حملت بأي طفل فسيحمل اسم باستينو.

لويس كان يجلس قرب آنا. بدا سميناً وضخماً.. كتفاه العريضان يتناسبان تماماً مع سترته المفصلة بدقة على قياسه. ولروبرتو علاقة تخلو من الودّ مع ابن عمه. فهو على كل الاحوال باستينو. ابن أحد ثلاثة اشقاء، عملوا جاهدين لبناء إمبراطورية باستينو. وباستمرار انتقال لويس الدائم من نيويورك الى لندن، ومن لندن الى روما، لم يكن عدواً لجيني.. بل على العكس فلقد حاول عدة مرات إظهار إعجابه بطريقة سمجة اضطرت معها الى ردعه ببرود.. وها هو الآن يبتسم لها متمتماً بالتحية فردت عليه تحيته بهدوء.

وجلس ولد صغير الى جانب لويس، ويده في يده. عرفت من هو وخفق قلبها ألماً.

ولاحظت إيڤا نظراتها الى الصبي.. فقالت بنعومة:

ـ انه أندرو.

انزلق الصبي من كرسيه ليأتيها راكضاً، ووضعت إيڤا يدها على رأسه الأسود، وأدارته نحو جيني:

ـ جيني هذا أندرو... أندرو... هذه جيني.

وأحست جيني وهي تنظر الى الطفل بالغضب والتأثر معاً. إنه صورة عن أبيه. له عينا عائلة باستينو السوداوان المائلتان الى

الاعلى، يحيط بهما رموش سوداء كثيفة ترتفع الى فوق.. وشعر أسود براق، أنف مستقيم متكبر، وجنتاه مرتفعتان. وحده فمه الزهري الناعم المليء بالحداثة والرقة ذكرها بذلك الفم الذي كان يجبرها يوماً على الاستسلام.

ـ مرحبا أندرو.

امتدت يده بأدب، وأمسكت بها. وأحست بالألم المفاجيء للسرور الذي أحست به لملمسها.. وتفحصتها عيناه.. وكأنه يعرف كل شيء عنها.. ولكن هل أخبروه بشيء بحق الله؟

تقدمت آنا.. والامتعاض باد في كل حركاتها، وأدارته ثانية لتعيده إلى المقعد، ونظرت إيڤا لابنتها، وتنهدت.. ثم استدارت الى جيني وسألتها:

ـ هل ستدخلين الآن لرؤيته؟

عند باب الغرفة توقفت والتفتت بقلق إلى جيني.

ـ ستكونين حذرة.. ألن تفعلي؟ لا تدعيه يتكلم، ابتسمي له فقط.

تبتسم! وتنهدت بصمت، هل تعلم إيڤا ما تطلب منها... ومررت يدها على شعرها، وحملقت عينا إيڤا بالخاتم الماسي الذي لمع في يد جيني... فصاحت:

ـ لا يمكنك وضعه.

للحظات بدا عدم الفهم على جيني، ثم احمرّ وجهها ونظرت لى الخاتم الماسي في يدها. وتأوهت إيڤا:

ـ لو شاهد هذا...

فقاطعتها جيني:

ـ ولكنني مخطوبة.. وسأتزوج قريباً.

وبدا الارتباك على إيڤا، وأخذت شفتاها بالارتجاف.

ـ جيني.. أنت لا تفهمين.. إنه يعتقد أنك لا زلت زوجته.

ـ إنه مخطيء إذن.

ـ ولكن عليك ان تتظاهري لبضع دقائق.. ستسبب الحقيقة صدمة قاسية له... وأي شيء يمكن أن يقلب توازنه.. فهل تستطيعين تحمل موته على ضميرك؟

ـ أوه... يا إلهي! أنت تطلبين الكثير إيڤا!

وببطء سحبت الخاتم من يدها وسألت:

ـ والآن.. ماذا؟

فتحت إيڤا حقيبة يدها، وببطء مدّت راحة يدها المفتوحة فأجفلت جيني مما رأته هناك:

ـ لا.. لن أفعل!

ـ إنه يموت... ولن تتمكني من الرفض. لن اسمح لك.

وارتجفت جيني، ومدت يدها إلى الخاتم، خاتم زواجها القديم، ووضعته في اصبعها.. إنه خاتم وراثي للعائلة.. إيطالي قديم الصنع، له شكل أفعيان ملتفتان، ولطالما أثار التعليقات بين صديقاتها. منذ خمس سنوات خلعته ورمته عبر الغرفة الى والده. وانحنى أنطونيو يومها ليلتقطه، ويبتسم ببرود ويقول بلؤم:

ـ سيعود الآن ليكون في اليد المناسبة التي يجب أن تضعه لولا ان تزوجك روبرتو.

أمسكت إيڤا بذراع جيني لتضغط عليها:

ـ شكراً لك حبيبتي. هيا الآن.. انه بانتظارك.

وأمسكت بيد جيني لتقودها إلى الداخل.. التفتت الممرضة الجالسة عند الطاولة اليهما بفضول، وأخذ قلب جيني يخفق

NOOR

بجنون، وبدأت تحس بالتعرق في يديها وعلى مؤخرة عنقها عند أسفل الشعر.

وعلمت أنها تتعمد ملاحظة تفاصيل ما حوله كي لا تنظر مباشرة إلى عينيه السوداوين البارزتين من تحت الأربطة البيضاء.

ـ جيني!

صوته كالهمس.. أخف بكثير من ان يسمع.. تقدمت من سريره.

ـ كنت خائفاً من ان تكوني قتلت في الحادث ويخفون الأمر عني.

ـ كنت مسافرة... وعدت فور سماعي بالخبر.

وتفحص وجهها بنظرته الساخرة المألوفة وتمتم:

ـ لا بد أنك ذعرت. ولكنني أرفض الموت. عندما أخفوا عني أخبارك تساءلت اذا كنت سأحتمل الحياة بدونك... ولكنني بعد رؤيتك أنا مصمم على الخروج من هنا، حبيبتي.

والتفتت الى إيڤا، ثم عاودت النظر اليه، فرأته يقطب:

ـ ألن تقبليني جيني؟

انحنت فوقه مرتجفة، وقلبها يضرب بصوت مرتفع، ولامست خده بشفتيها. وكانت على وشك أن تستقيم، ولكن يده السليمة أمسكت بها، ثم لامست وجهها.. ووقعت يده فجأة وأغمض عينيه.

وأخرجتها إيڤا من الغرفة وذراعها حولها:

ـ إنه دائماً هكذا! فجأة يصحو ثم فجأة يغيب... ولكن هذه المرة أظنه سينام مرتاحاً لعلمه أنك سالمة. شكراً لك جيني.

ـ لا تشكريني.. بحق الله!

ـ أدرك أن الأمر كان محنة لك.

ـ محنة؟ كان كالجحيم... مم تظنين أني مصنوعة؟ من حديد؟ كنت مضطرة للوقوف هنا لتقبيله، وسماعه يناديني... حبيبتي. يا إلهي.. كم أحسست بالدوار... وأنت تشكريني؟

وانتزعت الخاتم الذهبي الثقيل من إصبعها وأعادته لإيڤا:

ـ خذي هذا. لا اريد ان تقع عيناي عليه ثانية.. أو على أي واحد منكم!

اندفعت في طريقها متجاوزة إيڤا، وخرجت راكضة من المستشفى وكأنما الجن يلاحقها.. تنتحب صامتة. في موقف السيارات توقفت، لم تكن تدري كيف تذهب... وفكرت أخيراً.. سيارة تاكسي.. يجب أن تحصل على تاكسي. واستدارت نحو مكتب الاستعلامات لتستخدم الهاتف كي تطلب سيارة تاكسي. ووجدت نفسها تواجه جوليان، الذي نظر إليها نظرة إشفاق غاضب قائلاً:

ـ تبدين فظيعة.

ـ دعني وشأني جوليان.. أرجوك!

ـ لا تكوني سخيفة.. سأوصلك.

وانتزعت ذراعها من يده.

ـ ألا تفهم؟ لقد اكتفيت منكم! أريد الذهاب لوحدي.. لقد اكتفيت من عائلة باستينو.. ليوم واحد!

ضحكت بهستيريا وأكملت:

ـ ماذا أقول! ليوم واحد! بل للعمر كله!

وقال بهدوء جعله يبدو أكثر نضجاً من سنه:

NOOR

ـ أفهمك. ولكنني لن اسمح لك بالذهاب وحدك، فحالتك بائسة... ولا يجب أن تتركي لوحدك جيني. لقد أمرتني ايثا ان أبقى معك الى ان تصلي شقتك.

وحاولت الخلاص منه، ولكنه لم يتركها تفعل... وقادها أخيراً الى سيارته وادخلها اليها.. طريق العودة كانت أكثر صمتاً من ساعة الذهاب. خارج شقتها، نظر اليها وهو يطفىء المحرك.

ـ جيني... امي ارادتني ان اقول لك...

فصاحت يائسة:

ـ لا اريد ان اسمع شيئاً.

فتحت الباب وخرجت قبل ان يتمكن من ملاحظة ما فعلت. وخرج مستديراً امام السيارة، ولكنها كانت قد اصبحت داخل المبنى ووجدت مفتاحها ودخلت الشقة، اقفلت الباب، واتكأت عليه... تتنفس بعمق.

وبدأت الدموع تنهمر على وجهها.. وقرع جوليان الباب وناداها دون جدوى.. فهي لن تستطيع التحرك حتى ولو أرادت... وأخيراً سمعت وقع أقدامه تبتعد.... وببطء، انزلقت على الارض.. وغابت عن الوعي.

●●●

٢ ـ اقوى من النسيان

وقف غرانت في غرفة عملها مائلاً رأسه ينظر الى رسوم الأزياء الملونة، بنظرات رصينة لطيفة.

ـ انت تتحسنين كل يوم.. ولسوف تلمعين في عالم الأزياء اكثر من داني أتعلمين هذا؟

ـ وهل يعلم داني بذلك؟

ضحكت ونظرات عينيها الخضراوين تتراقصان.

ـ بالطبع يعلم. إنه يعرف اكثر من أي منا، دائماً يقول انك ستصبحين رائعة.

واقترب غرانت ليحدق بالخطوط الدقيقة واللمسات الناعمة لرسم زي الفستان أمامه:

ـ يعجبني هذا.. غريب كيف يبدو متماسكاً عن بعد، ويزداد غموضاً عن قرب.

ـ ليس من المفترض أن تنظر إليه وأنفك فوقه.

واستدار لينظر إليها ضاحكاً، ثم تقدم ليحتضنها ولامس أنفه خدها مداعباً:

ـ أنت لا تطاقين جيني.

ـ وماذا تعني؟

ـ جميلة، ذكية.. وهذا ليس عدلاً.

NOOR

فضحكت:

ـ ليس عدلاً ولمن؟

ـ لكل إناث الأرض.

ونظرت إليه بعاطفة، ومالت بطريقة كلها ثقة، ولفت ذراعيها حول وسطه.. وهمست:

ـ ولكنني أحبك.

وارتفع حاجباه:

ـ عندما أطريك؟

ـ بل في كل ثانية من اليوم.

ـ هذا ما أحب سماعه... والآن يجب أن أذهب... فلدي زبون أقابله بعد قليل.

ـ أيجب أن تذهب؟ لم أرك كثيراً هذا الأسبوع.

إنها بحاجة لرؤيته، وخاصة بعد زيارتها لروبرتو.. لم تكن قد ذكرت شيئاً أمامه بخصوص الزيارة بعد، فقد وجدت صعوبة في محاولة الشرح، والله يعلم أنها قصة بسيطة، ولكن أي ذكر لروبرتو باستينو يجعل غرانت يغضب.

وقال لها بلطف:

ـ بعد أن نتزوج ستتغير الأمور... سنصبح مختلفة.

غرانت كان يحبها منذ سنوات طويلة، حتى وهي متزوجة من روبرتو. وكانت دائماً تعرف هذا. فهو لم يبقِ الأمر سرّاً، ولكنها لم تستجب له سوى في السنة الأخيرة، إذ وجدت فيه الأمان الذي تحتاجه.

قال لها وهو في طريقه إلى الباب:

ـ سيعود داني من باريس بعد يومين.

ـ أعلم.. لقد أرسل لي برقية.. لا بد أنها كلفته ثروة! إنها رسالة أكثر منها برقية.

فضحك غرانت:

ـ أعماله رائجة، وباع كل التصاميم.

ـ هذا يفسر الأمر. هل أبرق لك ايضاً؟

ـ لا.. بل اتصل هاتفياً.. من هي لورين؟

ـ لورين؟ لا أدري... هل ذكرها لك؟

ـ عدة مرات، ولكنني لم أفهم ما هي علاقتها به.

ـ أنت تعرف والدي العزيز... ربما تكون عارضة أزياء.

فابتسم غرانت:

ـ آسف للسؤال.

فلكمته:

ـ ولماذا؟ أنا فتاة كبيرة الآن، والأيام التي كان يخبىء فيها صديقاته عني قد ولّت. أتساءل إذا كانت تعرف الطبخ.. أتذكر لينا؟ كان طبخها كالحلم.

ـ وكانت عارضة أزياء رائعة... تلك الأكتاف الرائعة...

وضحكا معاً... وقالت له:

ـ أيها المحتال... كتفيها هاه!

ففتح الباب وقال:

ـ أنسى دائماً أنك لا تتأثرين بشيء.

ـ بعد عيشي مع داني طوال حياتي؟ كيف يمكن أن أتأثر من شيء؟

وقطب وجهه:

ـ ليس هناك شيء من الغيرة في نفسك.. أليس كذلك جيني؟

كلماته جعلتها تجفل واسودت عيناها.. انحنى وقبلها على

NOOR

خدها ثم رحل. وعادت إلى غرفة عملها، ووقفت قرب النافذة تتمتع بشمس الخريف الدافئة. لقد تغير الطقس في اليومين الماضيين.. وتوقف المطر والريح. وحدها الأشجار العارية سوى من بضع ورقات كانت تذكرها بالخريف.

ليس هناك شيء من الغيرة في نفسك! إن معرفته بها قليلة! وفكرت بالمشاعر الوحشية الطاحنة التي عذبتها مرة... وامتدت يدها الى معدتها وكأنما تلك المشاعر قد عادت لتعصرها ثانية. وأغمضت عينيها وصرخت.. يا إلهي! وبدا صوتها غريباً، مغايراً، في الغرفة المشمسة.

لم تسمع شيئاً من عائلة باستينو منذ هروبها من المستشفى يوم زارت روبرتو.. لا بد أنه استعاد عافيته، فهي لم تشاهد أي خبر في الصحف عن موته. مجرد فقرة صغيرة تروي الحادثة وتقول إنه مصاب.

حاولت مرة الاتصال بالمستشفى لتسأل عنه، وبالرغم من امتداد يدها الى الهاتف، إلا أنها تراجعت.. فلو أنه مات لأبلغت بالأمر. ولكن أحلامها كانت تفيض بذكراه. كرامتها وحدها منعتها من العودة إلى المستشفى لرؤيته ثانية، ولو للحظات، ولتسمع صوته الأجش يقول «حبيبتي».

واستدارت غاضبة عن النافذة لتجلس وتبدأ العمل... وأخذت ترسم وجه فتاة ترتدي الزي الذي تصممه... ثم توقفت فجأة لتنظر الى الرسم بذهول.. قسمات وجه أندرو الطفولية أخذت تبدو لها من خلال الرسم. فأجفلت.

ومزقت الورقة من دفتر الرسم، وكادت تقطعها لولا رنين جرس الباب الذي اوقفها فوضعتها من يدها وتوجهت لتفتحه.

ووقفت إيڤا تواجهها بلطف، وقساوة معاً. وجهها النحيل مليء بالتصميم..

وتنهدت جيني:

ـ ماذا تريدين إيڤا؟

العينان السوداوان كانتا ثابتتين:

ـ ألا تريدين معرفة ما إذا كان قد مات أم بقي حياً؟

ـ لو أنه مات لعرفت... العالم كله كان سيعرف.

وهزت إيڤا رأسها:

ـ كيف يمكن لك أن تكوني قاسية؟ إنه بحاجة لك. اذهبي إليه.. لمَ ابتعدت؟

رفعت جيني كلتا يديها لتمررهما على شعرها لتخرب تصفيفته الناعمة:

ـ إيڤا.. أشفقي عليّ لأجل الله!

ـ كنت أتمنى أن لا أطلب هذا منك... ولكن روبرتو هو في المقام الأول عندي يا جيني.

ـ إنه هكذا دائماً.. إنه الأول لدى الجميع.

فحملقت إيڤا بها بعينين واسعتين:

ـ ألهذه الدرجة مرارتك، لقد كان فاقد الوعى معظم الوقت منذ أن زرتيه.. ولكنه استفاق الآن.. وهو يسأل عنك ثانية.

فشحب لون جيني واشتد بياضه:

ـ أتعنين أنه لم يسترجع ذاكرته بعد؟

فهزت إيڤا رأسها نفياً... فاستدارت جيني إلى الشقة:

ـ يا إلهي!

ولحقت بها إيڤا، تنظر من حولها بفضول، تلاحظ ترتيب غرفة العمل، وكيفية تعليق رسومات الأزياء فوق الحائط وعلى الرفوف.

NOOR

- إذن.. هنا تعملين! لقد بدأت تحققين النجاح. هكذا سمعت. ولا بد أن والدك فخور بك.

- أجل.. إنه فخور بي.. إيڤا.. لن أستطيع الذهاب.. إذا كان قد أصبح بصحة أفضل.. فيجب إعلامه بالحقيقة.

- ونقتله؟

- لن تقتله الحقيقة!

- لقد سمعت ما قاله.. بدونك لا يريد العيش.

واستدارت جيني على عقبيها، مرتجفة، عيناها مليئتين بالاتهام:

- كلانا يعرف أنه عاش من دوني خمس سنوات. ولن يموت الآن لمجرد تذكره أنني لم أعد زوجته.

- ولكنه لا يتذكر، وصدمة إبلاغه ذلك قد تحدث له ضرراً لا يمكن إصلاحه.

بالرغم من اضطرابها، ضحكت جيني:

- إنه أقوى من هذا... رأسه أقسى من الصلد.

- كان هكذا... ولكنه الآن ضعيف، هش، يتمسك بالحياة بخيط رفيع، وأنا أرفض قطع ذلك الخيط بقولي له ما يرفض سماعه.

والتقت عيناهما.. فتنفست جيني بصعوبة:

- لا يريد أن يسمعه؟ ماذا تعنين؟

فتمتمت إيڤا:

- أوه... جيني... أنت تعرفين بالضبط ما أعني... لقد حصلت على رأي أخصائي نفسي بهذا الأمر... روبرتو لم يفقد ذاكرته فقط... بل إن عقله الباطن يرفض أن يتذكر.

وأخذت جيني تتحرك بقلق:

- ولماذا؟.. أعرف ما تحاولين عمله إيڤا... ولكنك لن تنجحي.. يجب أن تتقبلي أنني وروبرتو قد انتهى أمرنا معاً، وهكذا كان منذ خمس سنوات. وحادثته لن تغير من الواقع شيئاً. بعد ثلاثة أشهر سأتزوج ثانية.. وأنت تعرفين هذا.

وتجاهلت إيڤا ملاحظتها وقالت بخشونة:

- روبرتو يحمي نفسه... هذا ما قاله الطبيب النفسي... إنه يعرف أنه مريض وقد يموت... لذلك عاد الى أيامه السعيدة معك، وهذا يشعره بالأمان. ويعطيه سبباً ليعيش من أجله.

- أتعرفين ما تقولين؟ إنها ليست الحقيقة.

- يا عزيزتي.. أنا واثقة... روبرتو لم يفقد ذاكرته نهائياً، بل فقد الجزء الأخير منذ فقدك. لقد أقفل عليها الباب. حتى أندرو... ابنه... الذي يحبه... صدقيني... لا يذكره. ولا يمكن له أن يرفض تذكر ابنه للاشيء. ومع ذلك ينظر إلى الولد دون أي إحساس ويسأل: من هذا؟

وعضت جيني شفتها.

- يا للولد المسكين! وهل تألم لهذا؟

فتنهدت إيڤا:

- لقد تكدر بالطبع. ولكنني أبعدته عن الجو، وشرحت له أن إصابة أبيه في رأسه جعلته يفقد ذاكرته، وأظنه فهم الأمر.

واستدارت جيني... تلف ذراعيها حول نفسها وكأنها تكاد تتجمد من البرد... وقالت:

- مهما يكن... لن أستطيع الذهاب.

وتقدمت إيڤا من الطاولة، حيث ورقة الرسم المنزوعة من الدفتر الكبير.. والتقطتها لتنظر الى الرسم غير مصدقة:

NOOR

ـ هذا عظيم... عظيم جداً... كم أنت بارعة يا جيني!

فاحمر وجه جيني.

ـ أوه... إنه مجرد خربشة من الذاكرة.

ـ ولكنك التقطت ملامح وجهه ببراعة. هل لي أن أحتفظ بها؟ سأحافظ عليها كأنها كنز... جيني... أرجوك!

ـ بالطبع..

ـ شكراً لك.

ونظرت إليها إيڤا بعينين دامعتين:

ـ أرجوك اذهبي إليه.. أرجوك!

وتأكدت جيني أن لا مفر لها.. وستبقى إيڤا هنا إلى أن توافق فقالت:

ـ أوه... حسناً.

وفي السيارة سألتها إيڤا.

ـ ماذا قال خطيبك عندما أخبرته عن روبرتو؟

ـ لم أخبره بعد.

ـ ألا يعرف شيئاً عن حالته؟

ـ أشك في أنه يعرف عن الحادثة أصلاً.

ـ وهل تظنينه سيمانع؟

فضحكت ببرود:

ـ تعرفين جيداً أنه سيمانع، فأنا خطيبته، ومع ذلك أذهب لأقف قرب فراش رجل آخر وأتظاهر أنني زوجته.. فماذا تتوقعين منه؟

ـ مما أذكره عنه، مع قلته، كان دائماً لطيفاً واسع المخيلة... وبالطبع سيفهم.

توقفت السيارة خارج المستشفى، ولحقت جيني بإيڤا إلى الفناء الداخلي، ثم الى المصعد... خارج غرفة روبرتو توقفتا، ومدت إيڤا يدها إلى جيني:

ـ الخاتم.

ارتجفت يد جيني وهي تأخذه. وفتحت إيڤا الباب هامسة:

ـ سأنتظر في قاعة الانتظار.

بعد لحظات دخلت الغرفة.. وكانت فارغة وصامتة.. والطيف الملفوف بالأربطة فوق السرير لم يتحرك وهي تتقدم إليه. ووقفت بهدوء إلى جانبه... ثم انحنت غير قادرة على مقاومة إغراء يدفعها، ولمست بشفتيها جبينه.

وعلى الفور امتدت يده لتلتف حول عنقها. فرفعت نظرها لترى أن جفنيه قد ارتدا عن عينيه السوداوين، وهمس:

ـ جيني... حبيبتي... أخيراً.. أين كنت؟

وحاولت الابتعاد عنه دون جرح مشاعره، ولكن يده كان لها قوة غريبة ولم تتركها.. فقالت:

ـ تبدو أفضل حالاً الآن.

ـ قبليني ثانية... كنت نائماً.. هذا ليس عدلاً.. أريد أن أكون مستيقظاً عندما تقبليني.

وقبلته بخفة، ولكن يده ضغطت على عنقها، وأبقت وجهها قربه بينما كان يمرر فمه على خدها.

لم تكن تتصور مطلقاً أنها ستشعر ثانية بهذه المشاعر معه. وآلمها ذلك حتى انها أرادت أن تهرب. وتخلصت من قبضته، ووقفت ويداها متشابكتان.. تتنفس وكأنها كانت تركض.

وتحرك بقلق.. ولاحظت الألم في عينيه، وسألها:

NOOR

ـ ما بك؟

ـ يجب أن تبقى دون حراك. . . فالتكدر لا ينفعك.

ـ ولكنني سأتكدر اكثر لبرودتك معي. . تبدين أكبر سناً. . . هل يجب أن تبقى هذه الستائر مسدلة فوق النافذة؟ أريد أن أراك. . . اقتربي مني.

واستدارت لتجر الكرسي وتجلس قرب السرير، مبقية رأسها بعيداً. . لا بد أنه سيلاحظ التغيير عليها، فذاكرته تفتش عن الفتاة ذات التسعة عشر سنة. وهي الآن امرأة في الرابعة والعشرين.

ـ لا يجب أن أبقى طويلاً.

ـ ولكنك وصلت لتوك. . ما الأمر. . لماذا تبتعدين عني هكذا؟

فاستجمعت كل شجاعتها، ومالت الى الامام مبتسمة:

ـ آسفة لهذا. . . كنت قلقة عليك.

فانفرجت أساريره:

ـ بالطبع! يا عزيزتي المسكينة! آسف لأنني سببت لك التعاسة. أنت صغيرة على وضع كهذا. . . يا حبيبتي. والأمر صعب عليك. ولكن لست أدري ما حدث، ولا كيف حدث، كل ما قالوه لي إنني حطمت السيارة.

وبدا مريضاً، ضعيفاً، ولكن لم يبدُ أنه يموت. . إنه منطقي، وواضح التفكير.

ـ لقد انسكب الزيت من صهريج، وتزحلقت السيارة فوقه.

فقطب:

ـ ومتى كان ذلك؟ آخر ما أذكره هو رحلتنا الى لندن. أذكر عودتنا من مطار هيثرو. . وكنت معي في السيارة. . . يومها لم

تحصل حادثة أليس كذلك؟

وأحست بألم في حلقها، وابتلعت بصعوبة.

ـ لم أكن معك ساعة الحادثة.

ـ لا. . أمي قالت هذا. . أذكر. . . لماذا تأخرت عن المجيء؟ أين كنت؟ مع داني كما أعتقد؟ ومع صديقك العزيز غرانت؟

ووقفت بقوة عن الكرسي حتى كادت الكرسي تقع.

ـ يجب أن تنام الآن روبرتو. لقد وعدت الطبيب أن لا أبقى أكثر من دقائق.

ـ ابقي هنا. . لم تردي على سؤالي. . هل كنت مع غرانت كراولي؟

ـ لا. . . لم أكن معه. . . كنت مع أبي في باريس.

وبدت عليه الراحة:

ـ أوه. . . أنا آسف حبيبتي.

ـ والآن يجب أن أذهب.

فهمس:

ـ قبليني.

وقبلته. رغم إحساسها بالعذاب، وداعبت يده شعرها الحريري. فارتجفت، ثم عاد الى الاستلقاء متنهداً، وبدا لها مرهقاً حتى أن مشاعر الحنان لديها تحركت نحوه. فقالت له متوسلة:

ـ عدني أن تنام الآن.

فابتسم وتمتم بصوت ضعيف:

ـ أعدك.

وقبل أن تتركه كان يغط في سبات عميق.

وكان مع إيفا رجل قصير ممتلىء تبدو عليه الأهمية. فابتسم

NOOR

لها ومد يده:

ـ آه.. سيدة باستينو، سعيد جداً لمقابلتك.

فردت جيني بحدة وهي تنظر إلى إيڤا:

ـ أنا الآنسة نيوهام.

وقالت إيڤا:

ـ هذا هو السيد كيلي، الأخصائي الذي سيتولى معالجة روبرتو.

ونظرت إليه جيني دون اهتمام:

ـ هل أنت طبيب نفساني؟

فرد بسرور:

ـ من بين عدة أشياء.. كيف وجدت زوجك؟

فردت بحزم:

ـ نحن مطلقان.

فابتسم:

ـ ولكنه لا يعتقد هذا.

ـ مهما كان يظن.. فنحن مطلقان.

ـ قانونياً أجل... ولكن إذا لم يكن يتقبل الأمر... فأنت مجبرة.

ـ هذا مناف للعقل!

فابتسم بخبث:

ـ ولكنك هنا سيدة باستينو، وهذا يدل على أنك تتقبلين فكرة ارتباطه بك.

بدت عليها الصدمة والشحوب.

ـ لقد جئت لأن أمه توسلت إلي.

ـ وإن يكن.. مهما كان السبب الذي تبررين لنفسك به، فلقد جئت. وهذا ما يقول لي إنك ملتزمة به.

ووضعت جيني قبضتيها على جنبيها:

ـ لا!

وأدار الرجل القصير ابتسامته نحو إيڤا:

ـ هل لي أن اتحدث الى السيدة باستينو على انفراد؟

وأمسك بذراع جيني.

ـ هل تسمحين أن تأتي معي إلى مكتبي؟

فقالت إيڤا:

ـ سأنتظرك هنا عزيزتي.

وقدم لها كرسياً امام طاولته، وجلس مبتسماً:

ـ زوجك لا يذكر الحادثة.. أتعرفين هذا؟

ـ قال لي.

ـ وهل قال لك آخر ما يتذكره؟

ـ أجل.

ـ وهل تسمحين بقوله لي؟

فهزت كتفيها:

ـ لست ارى حقاً...

ـ أرجوك!

فتنهدت:

ـ آخر ما يذكره رجوعنا من رحلة الى لندن.

ـ ومتى كان ذلك؟

ـ منذ اكثر من خمس سنوات.

ـ وهل لهذا اي ميزة لديك؟

وجمدت الابتسامة على شفتيها.. ميزة؟.. اجل.. انها تذكر:

NOOR

ـ بعد أيام من عودتنا تشاجرت معه وتركته وعدت الى منزل ابي...

ولم تستطع ان تكمل، وارتجفت شفتاها، واندفعت الدموع الى عينيها.

ـ وبعدها...

ـ لم يكن مخلصاً لي.

ـ وهل اكتشفت هذا بنفسك؟

وهزت رأسها ايجاباً وهي تتذكر، لقد نامت عند والدها ليلة.. ثم في الصباح اكتشفت خطأها، فأخذت سيارة تاكسي الى منزلها في الصباح الباكر، وبكل الحب والشوق ركضت لتصل إلى غرفة نومها، غرفتهما، وفتحت الباب لتجمد وكأنها تلقت رصاصة في قلبها.

من على الوسادة قرب رأس روبرتو الأسود، رفعت جيسكا رأسها ذي الشعر الأحمر مبتسمة، ولم تقل كلمة، بل تحولت البسمة إلى ضحكة... وأخذت العينان السوداوان تسخران منها.

واستدارت جيني دون كلمة وخرجت من المنزل... فيما بعد ذلك اليوم جاء روبرتو ليراها. ولكن والدها رفض السماح له بالدخول. ومن غرفتها في منزل والدها سمعت الصراخ... وحاول روبرتو اقتحام طريقه إلى الداخل... ووصل غرانت... وكانت معركة قاسية، شهدت كل فصل منها وهي ترتجف وتحس بالسقم. ومعاً.. تمكن والدها وغرانت من طرده. وفي اليوم التالي كانت جيني في طائرة متجهة إلى لندن للإقامة مع عمتها هناك... ومن هناك أرسلت وكالة لمحاميها لإجراء الطلاق. وأرسل روبرتو عدة رسائل لها.. لم تفتح أيّ منها... وعادت لتتم إجراءات الطلاق

في أميركا... وبعد أسبوع تزوج روبرتو من جيسكا. وبعد الزواج بثلاثة أسابيع ولدت له ابنها، أندرو... الولد الذي وضع روبرتو كل دمغات العائلة عليه، ولا مجال له لإنكار بنوته.

ـ وهكذا تطلقتما؟

ـ أجل.

ـ وهل رأيته منذ تركته؟

ـ لا...

ـ إنها قضية فتحت وأقفلت... أليس كذلك؟

ـ صحيح؟

ـ هيا الآن سيدة باستينو...

فصاحت بشراسة:

ـ لا تناديني بهذا الاسم!

ـ يا عزيزتي الشابة، وماذا في هذا الاسم؟ لا يمكن الجدال حول الامر، فزوجك بكل مرارة نادم على الطلاق. ويرفض كل ما مر به منذ يوم تركته. لقد أبعد تلك الفترة عن ذاكرته، لأنه في حالته الحاضرة، عقله الباطن يعرف أنه لا يستطيع مواجهة تلك المرحلة من جديد. وإلى أن يستعيد عافيته سوف يستعيد ذاكرته.

ـ وماذا إذن؟ لا أستطيع الاستمرار في الادعاء. فأنا مخطوبة لرجل آخر.

ـ هكذا عرفت... منذ متى أنتما مخطوبان؟

ـ منذ أكثر من أسبوع.

واتسعت عيناه بخبث.

ـ حقاً؟ هذا مثير للاهتمام!

وحدقت به جيني... لماذا يبتسم هكذا؟

ـ هل أعلنت خطوبتكما في الصحف؟

NOOR

ـ طبعاً...

شهرة داني في عالم التصميم، وشهرة دار الأزياء التي يملكها غرانت، جعلت نشر الأمر محتماً. حتى أن عدة صحف نشرت قصصاً صغيرة حول الأمر.

ـ هل تذكرين تاريخ ظهور تلك القصص؟

ـ يوم الخطوبة بالضبط... أوه... لا في اليوم التالي...

وتوقفت عن الكلام فجأة وحدقت بالرجل... ثم قالت ببطء:

ـ يوم.. حصلت.. الحادثة.. لروبرتو!

فابتسم، وبدا الرضى على وجهه.

ـ بالتحديد... هذا ما كنت أرتاب فيه... وكما قلت قضية فتحت وهي مقفلة... وواضحة جداً.

ـ بل اكثر من واضحة... وأنا لا أصدقها.

وضم يديه معاً وكأنه يصلي... وابتسم دون أن يخفي رضاه:

ـ وهل لديك تفسير آخر؟

فوقفت:

ـ ليس في الوقت الحاضر... ولكنني سأفكر بتفسير آخر.

وانفجر ضاحكاً.

ـ افعلي هذا أرجوك سيدة باستينو.

فحملقت به غاضبة، وقالت بعد تفكير:

ـ ألم يتبادر إلى ذهنك لو أن ظهور خبر خطوبتي هو سبب حادث اصطدام سيارة روبرتو... فقد يكون فقدان الذاكرة شيئاً متعمداً؟

فاتسعت ابتسامته:

ـ بالطبع... ولكن ليس بالضرورة كما تعنين أنت. فهو لا يدعي سيدة باستينو.. لقد فقد الذاكرة حقاً للخمس سنوات

الماضية. لقد جاهد عقله بكل طاقاته ليقفل الستارة عن الذكريات المؤلمة لحماية نفسه. وكما قلت، عندما يستعيد عافيته الجسدية، سيسمح عقله للذاكرة أن تعود.

ـ وحتى ذلك الوقت؟

فهز كتفيه.

ـ يجب أن اصرّ على أن لا تحرريه من هذا الوهم إلى أن أسمح أنا بذلك. فقد تكون الصدمة مؤذية جداً له.

وحدقت بالأرض تعض شفتها:

ـ لن يموت... وأنا واثقة من هذا. لقد كان أقوى بكثير اليوم عما شاهدته أول مرة.

ـ ولكن الصدمة قد تقتل أيّ إنسان وهو بصحة كاملة، صدقيني! وعندما يصاب شخص كزوجك سيكون الخطر مضاعفاً.

وأغمضت جيني عينيها... وهمست بيأس:

ـ أوه... يا إلهي!... لست أدري كم أستطيع أن أتحمل بعد.

• • •

NOOR

٣ ـ القلب الخائن

كان الخريف قد بدأ يولي ممهداً لقدوم فصل الشتاء الذي يبطىء بنعومة متمثلاً بضباب صباحي، وطقس مكفهر بارد، وزخات من المطر. بقيت الحرارة مرتفعة أكثر من المعتاد، فترى النساء والرجال يسيرون في نزهاتهم باللباس الصيفي الخفيف.

بالرغم من كل حكمتها، استمرت جيني بزيارة روبرتو في المستشفى.. وكانت تمضي معه يومياً نصف ساعة جالسة قرب سريره.. تمسك بيده.. تراقب النور الساطع في عينيه وهو يتأملها. كان يمازحها بلطف، كما كان يفعل في الأشهر الاولى لزواجهما.. مظهراً لها الحنان الدافىء. الذي تتذكره بحزن وأسى.

تلك الأشهر الاولى كانت من اكثر اللحظات سعادة في حياتها.. فروبرتو مُحب مثير، حساس، يعي تماماً براءتها. يحبها ويحميها، وإن كان يجرفها معه في لجج رغبته الحارة، العقبة الوحيدة التي كانت تعكر صفو تلك السعادة التامة كان والد زوجها أنطونيو وعدائيته نحوها فهو لم يكن يخفي عن أحد رغبته في أن يتزوج ابنه من ابنة عمه جيسكا.

بعد عودتهما من رحلة إلى لندن، كمحاولة يائسة لاستعادة سعادتهما، عادت المشاكل حال وصولهما إلى نيويورك. فقد كان موعد حفلة عيد ميلاد جيسكا ليلة وصولهما.. وكانت جيني حينها

متعبة من السفر، فآوت إلى الفراش باكراً، بينما بقي روبرتو ليحضر الحفلة.

لم تستيقظ جيني إلا بعد منتصف الليل على صوت موسيقى منبعثاً من الاسفل. نهضت من فراشها ومن على فسحة السلم تطلعت إلى المراة الضخمة التي تعكس ما في الصالون الطويل، فشاهدت جيسكا، مغمضة العينين، تسبح مع الموسيقى بين ذراعي روبرتو. فعادت الى فراشها متوترة، والغيرة تنهشها... ولم تغط في النوم إلا حوالي الرابعة صباحاً ولم يكن روبرتو قد عاد بعد الى فراشه... مع أن المنزل كان خالياً يسوده الصمت.

وكان هذا بالطبع سبباً لخلاف آخر. وتدخل أنطونيو باستينو بعنجهيته وكبريائه، مقطباً وجهه قائلاً لها:

ـ إذا كنت تغارين من جيسكا فاسألي نفسك عن السبب! ألست تغارين بسبب معرفتك أنها هي المرأة التي كان يجب على روبرتو ان يتزوجها وليس أنت... امرأة من طبقته، وليس مجرد فتاة جميلة جاهلة نكرة.

عندها خلعت جيني خاتم الزواج من يدها لترميه له بينما ظل روبرتو صامتاً لا يفوه بكلمة. وسارعت الى منزل أبيها، معتقدة أن لروبرتو نفس وجهة نظر أبيه، وأنه قد ندم على زواجه منها، لكنها مع بزوغ أول شعاع لضوء الصباح سارعت الى منزل باستينو لمحاولة كسب ود زوجها، مهما يكن الثمن.

ما شاهدته يومها لم يكن ليفارق مخيلتها ليلاً ونهاراً ولأشهر طويلة... روبرتو غافٍ في فراشه.. والى جانبه جيسكا يعلو وجهها بسمة انتصار.

لم تزل هذه الذكرى تحز في نفسها حتى هذه اللحظات.. لم

NOOR

تستطع النسيان، كانت تعرف بالطبع، أن هناك الكثير من النساء قبلها... ولكنها آمنت بكل سذاجة، أن روبرتو بعد قسمه بالإخلاص، لن يفعل ما قد يسيء إليها.

لم تخبر غرانت بالأمر بعد.. بغريزتها أدركت أنه سيغضب... وربما يمنعها من زيارة روبرتو. وهي تعرف أنها لن تستطيع أن تمتنع عن ذلك.

هذا ووضعها النفسي السيء أثر في نتاج عملها، وبدا أنها فقدت الدافع للعمل. كانت مضطرة لإجبار نفسها على التقاط أقلام التلوين، إذ إن يديها بدتا لها متخشبتان مترددتان.

وصل غرانت بعد ظهر ذلك اليوم وهي تروح وتجيء متنهدة أمام رسوم تصميماتها، فوقف قربها مقطباً:

ـ هل هناك شيء ما؟

فنظرت إليه متوترة:

ـ ولم تسأل؟

فضحك مشيراً بإصبعه إلى الصورة:

ـ يا فتاتي العزيزة! لم أعهدك خرقاء في عملك... أرى أنك هنا أعدت الرسم فوق الرسم أكثر من مرة... ومع ذلك فهو لا يزال سيئاً.. أليس كذلك؟

ولم يكن هناك جدوى من الإنكار، فهو يعرف عن فن التصميم الشيء الكثير أكثر مما يعرفه كبار الرسامين. فقالت له بعد تردد:

ـ اظن أنه قد حان الوقت لأقول لك شيئاً. اجلس يا غرانت.

فنظر إليها متوتراً مقطباً وسألها مازحاً:

ـ وهل سأحتاج إلى ما يعيدني إلى الصحو إن أغمي علي.

فضحكت جيني وأخبرته القصة بشكل سريع بكل صراحة،

وخشونة، وشاهدت وجهه يتصلب ويسودّ، وبدأت الشعلات الحمراء تغشى عينيه:

ـ يا للجحيم... لا بد أنك فقدت عقلك.. أنت تزورينه يومياً منذ أسابيع دون إعلامي بالأمر؟ أتكذبين عليّ، تغشيني؟ لا أستطيع أن أصدق أنك فعلت هذا يا جيني!

فقالت بأسى:

ـ لم أكن اتصور أن الأمر سيستمر طويلاً. لقد أخبروني أول الأمر بأنه سيموت فلم استطع الرفض! ثم قال الأخصائي النفسي إن هو اكتشف أمر طلاقنا قد يصاب بصدمة.. فكيف يمكن أن لا ألبي طلبهم وألعب الدور المطلوب مني؟

ـ أخبريني بالأمر على الأقل، كنت استطعت التعامل معهم. هذا إن كنت راغبة في تدخلي، ولكن يبدو أنك لست راغبة. أليس كذلك جيني؟ اظن أنك تودين الذهاب لرؤيته، رؤية ذلك الوغد الإيطالي السافل! لم تتمكني أبداً من التخلص من ذكراه.. أليس كذلك؟ ظننت لفترة أنك نسيته تماماً... ولكن لحظة أشار لك عدت زاحفةً إليه كالبلهاء وتركته يستغلك كما كان يفعل من قبل.

ـ ولكنه مريض للغاية!

فضحك بخشونة:

ـ كم هذا مقنع!

ـ غرانت.. إنه مريض! كان على شفير الموت! لو أنك شاهدته في اليوم الأول.. كم كان شاحباً ومتلاشياً كالأموات. بالكاد كان يصدر حركة أو صوتاً.

والتوت شفتا غرانت بتكشيرة غضب:

ـ إذاً أصبحت ملمة بكل ظروفه وجميع احتياجاته، أليس كذلك؟ لقد أجبرك على الحضور.. ألم يفعل؟

NOOR

ـ غرانت، كان عليّ الذهاب، اللياقة تقتضي ذلك!

وأمسك كتفيها بكلتا يديه وهزها بعنف، فتصلب وجهها وهي تنظر إليه مذهولة وعيناها الخضراوان شاخصتان وصاح بها:

ـ أنت أردت الذهاب! اعترفي بذلك!

واشتد غضبها، منه... وأصبحت شرسة. وفقدت السيطرة على تفكيرها، فافلت لسانها وصاحت به.

ـ حسن جداً.. هذا ما أردته... أردت رؤيته ثانية... لأني أحبه!

وقطعت الكلمات بصمت متوتر، وأغمضت عينيها لفترة قصيرة. ثم نظرت بحزن إلى غرانت:

ـ آسفة يا غرانت... ليس الأمر بيدي... لم أرد ذلك.. ولكن هذا هو الواقع... أنا مجنونة به.

فقال غرانت بوضوح وبرود:

ـ أجل... أجل.. أعرف هذا. هذا ما عرفته دوماً. كان واضحاً منذ البداية.. نظرة واحدة منه أوقعتك في غرامه.. وكنت غبياً إذ ظننت أنك قد شفيت من حبه.

اخفضت جيني رأسها باستسلام، وقد انتابها الندم المرير. ثم سحبت خاتم الخطوبة من إصبعها وأعطته إياه:

ـ أنا آسفة جداً لهذه النهاية بيننا.

تنفس غرانت بحدة، ناظراً الى الخاتم وكأنه يراه لأول مرة... ثم تنهد:

ـ اسمعي يا عزيزتي. أنا آسف لعدم سيطرتي على أعصابي. فهل تستمعين إلي بهدوء للحظات؟

ـ بالطبع. فحبي لروبرتو لن يؤثر مطلقاً على تعلقي بك. ولم

يكن يوماً ليؤثر.. لقد تعارفنا منذ زمن طويل...

فابتسم وشعرت أنها آلمته بهذا الكلام أكثر مما أرضته:

ـ لا تعيدي إلي الخاتم الآن. أبقيه في الوقت الحاضر. ولا تخبري أحداً أن علاقتنا قد انتهت.

وبدا عليها الارتباك وعدم الفهم:

ـ ولماذا؟

ـ لأجل حمايتك. فانا لا أثق بعائلة باستينو، كما لم أثق بهم من قبل. ولا أصدق ادعاء روبرتو بفقدان ذاكرته... إنه خنزير ذكي.

ـ أوه غرانت! أنت لم تره حقاً!

فابتسم بقلق:

ـ أوه.. أنا لا أشك في أنه مريض بعد حادث تحطم سيارته.. ولكن ليس هناك من طريقة لمعرفة هذا الادعاء بفقدان ذاكرته كما هي الحال مع عظم مكسور مثلاً. ربما هو يحتال على الجميع.

ـ ولماذا يفعل؟

فهز كتفيه:

ـ لقد نجح...! واستعادك، ألم يفعل؟

فاحمرّ وجهها:

ـ لو كان يريدني لحاول سابقاً. أنسيت أن زوجته قد ماتت منذ سنتين... ولم يحاول التقرب مني بعدها مطلقاً... فلماذا انتظر هذا الوقت كله؟

ـ ومن يعرف لماذا بحق الشيطان؟ إنه خبيث ماكر... رجل أعمال له تكتيكات ناجحة. جيني.. أنت تقرأين الصحف وتعرفين كم عدد النساء اللواتي شوهد معهن... علاقاته بالنساء قذرة.. هل هو من نوع الرجال الذي ترغبين فيه؟ رجل لا يمكنك أن تثقي

NOOR

به؟

وأحست جيني بالغثيان، ووضعت يدها على معدتها، وارتجفت شفتاها.. وهي تقول بصوت هامس:

ـ لا.. ليس هذا ما أريده.. لا.. بالطبع لا.

ـ إذن.. لماذا؟

ونظرت إليه عاجزة.

ـ في هذه اللحظات، لأنه يحتاجني!

فضحك.. وصاحت غاضبة:

ـ إنه بحاجة لي وطالما عرفت هذا فأنا لن أخيب أمله. لقد حاولت، وكتمت مشاعري، ولكنني الآن لم أعد اقدر. أنا ضعيفة غبية، ربما.. لكن لا حيلة لي حيال هذا الأمر.

ـ حسناً.. ولكن، ولأجل حمايتك استمري في ارتداء خاتمي.. وانتظري.. لا تلتزمي مع هذه العائلة ثانية قبل أن تعرفي حقيقة الموقف، ولا تعرضي نفسك لأي خداع ثانية.

ـ أنت رجل رائع يا غرانت، وكنت أتمنى من الله لو انني أحببتك كما أحببتني.

فضحك عميقاً:

ـ وكذلك أنا يا عزيزتي. فأنت جميلة، يا للأسف أن باستينو هذا لم يقتل في تلك الحادثة.

ـ غرانت... لا تقل مثل هذا ولو على سبيل المزاح.

ـ ولكني لا أمزح. لو لم تلتقي به لكنا تزوجنا منذ زمن بعيد... وأنا واثق أنه سيرفسك على أسنانك مرة أخرى يوماً ما. وسأكون يومئذ بانتظارك.

واستدار ليغادر المنزل دون كلمة وداع... فوقفت مكانها..

ترتجف ضائعة بين رفضها لقوله وتصديقها له.

كانت الرباطات قد أزيلت عن رأس روبرتو يوم زارته. ضحكت وهي تنظر إلى خصل شعره الأسود المبعثرة فوق جبينه.

ـ تبدو كالطفل..

فرد بمرارة.

ـ بل أبدو كالأبله.

وأخذ يتحدث عن مشاريعه، ممسكاً أصابعها في يده، يعبث بها ملاحظاً كيف تختفي في راحة يده الكبيرة.

ـ فكرت أن نذهب إلى ايطاليا.

واستوت في جلستها لتتحسس جسدها الذي تجمد من هول المفاجأة.

ـ إيطاليا؟

ـ نيويورك باردة في الشتاء، ولقد اشتقت إلى أجواء بلادي.. يمكن إعادة فتح الڤيلا وتهوئتها في مدة قصيرة.. ويمكن أن نطير إلى هناك فور مغادرتي المستشفى.

كان قلبها يضرب كطبول الغاب، شفتاها جافتان من شدة التوتر.. يجب أن يعرف... لن تستطيع السفر معه.. هذا أمر لا يمكن التردد فيه.

وسألها متعجباً:

ـ لماذا تصمتين؟

ـ كنت أفكر. السفر قد يكون متعباً لك. وسيصيبك بالإرهاق.

ـ هراء!

ونظر إليها بوجه ضاحك وابتسامة ساخرة تذكرها جيداً، جعلتها تمسك أنفاسها وترتعش ثم همس:

NOOR

ـ أعتقد أنك تشعرين بالخجل.. ربما لأن فراقنا قد طال؟

فكرت بسرعة.. ماذا يعني؟ وأكمل برقة:

ـ هل نسيت وأنا مريض أنك امرأة متزوجة، وأنك زوجتي؟ سأغير هذا الوضع قريباً يا حبي... وسأكون مسروراً بأن أذكرك بأنك ملكي.

ودفعها الذعر لمحاولة جذب يدها من يده، ولكنه شد قبضته على أصابعها، موجهاً نظرة حادة إلى وجهها المضطرب.

ـ كنت أظن أن هذا التمنع اللذيذ قد ولى زمنه... ولكنني أرى العكس.

اقترب منها، رفع راحة يدها وقبلها، ثم أحاطها بذراعه ملامساً بشرتها الزهرية، وأخذ يقبل باطن كفيها مرات ومرات.

أحست بقلبها يخفق خفقاً متلاحقاً ثم ضمها إليه بقوة فشعرت انه سيحطم عظام صدرها، أبعدته عنها ونظرت اليه.. تكرهه.. وتحبه في آن. وسارعت إلى إبعاد نظراتها عنه عندما أحست بثقل نظراته عليها.

ـ ربما ستتمكن من السفر إلى إيطاليا فيما بعد. ولكن ليس الآن روبرتو.

سحبت يدها من يده وتابعت:

ـ يجب أن اذهب الآن.

وسارعت إلى الباب وعيناه الغاضبتان تلاحقانها. وصاح بحدة:

ـ عودي إلى هنا جيني!

ولكنها تابعت جريها إلى الخارج، متظاهرة بعدم سماعه، وكل

جسدها ينتفض.

اتجهت من المستشفى إلى منزل باستينو مباشرة لمقابلة إيڤا. فاستقبلها الخادم القديم الذي تعرفه جيداً.. ولم يكن في وجهه ما يدل على أنه من البشر. سمعته يقول بعد أن أدخلها الى غرفة الجلوس بصوت خالٍ من اي تعبير:

ـ سيدتي... الآنسة نيوهام هنا!

وتقدمت إيڤا لتقبلها.

ـ حبيبتي... كم رائع أن أراك في هذا المنزل ثانية!

ولامست خدها بخد جيني التي سارعت للتأوه.

ـ إيڤا.. أتعلمين أن الطبيب سيسمح له بمغادرة المستشفى قريباً؟

فابتسمت ايڤا:

ـ اجل... ما رأيك لو تتناولين القهوة معي؟ اجلسي يا حبيبتي.

ونظرت إليها جيني يائسة:

ـ اصغي الى إيڤا.. روبرتو يريد السفر الى ايطاليا!

ـ فكرة رائعة! أنا واثقة أنه سيتعافى بسرعة أكبر هناك.

وبدا واضحاً أن ايڤا لم تفهم معنى قولها.

ـ عندما يصل إلى المنزل، يجب أن تخبروه يا إيڤا.

ـ نخبره ماذا؟

وجلست إيڤا على كرسي بقربها ونظرت إليها ببراءة.

ـ أنت تعرفين ما أعني..! يجب إخباره بأمر طلاقنا!

حينها أمسكت إيڤا بيدها، ولامست خاتم الزواج الذي نسيت أن تخلعه عندما غادرت المستشفى:

NOOR

ـ ولماذا؟

فأجفلت جيني:

ـ أنت تعرفين جيداً لماذا! لا أستطيع الذهاب معه! لأني لست زوجته وعاجلاً أم آجلاً سيعي ذلك.

فقالت إيڤا بنعومة:

ـ طبعاً عاجلاً أم آجلاً... ولكن ليس الآن يا جيني.. ليس بعد.

شهقت جيني... وحدقت بإيڤا.

ـ ألا ترين أن هذا الوضع مستحيل بالنسبة لي؟ لم أعد قادرة على الاحتمال.. وانا أدعي كل يوم وأذهب إليه.. وأراه.. وأكذب عليه!

فردت إيڤا بهدوء:

ـ ولكنك بذلك تجعلينه سعيداً، يا عزيزتي سيكون الأمر أفضل بكثير لو تركناه يستعيد ذاكرته بنفسه.. ألا تعتقدين هذا؟ وبما أنه بدأ يستعيد عافيته تدريجياً فلن يطول الأمر حتى يستعيد ذاكرته.

ـ ولكنني لا أستطيع السفر معه إلى إيطاليا! لا أستطيع، إيڤا! أنا لست زوجته.. نحن لسنا متزوجين! كيف يمكنني السفر إلى إيطاليا والعيش معه تحت سقف واحد؟

فابتسمت بخبث:

ـ لا بأس يا عزيزتي.. وأي ضرر في هذا؟ أتظنين أنه بكامل عافيته ليطالبك بحقه الزوجي؟

فاحمرّ وجه جيني وهمست:

ـ ولو فعل؟

ففضحكت إيڤا:

ـ لا أظن.. أنسيت كم هو مريض؟ مثل هذه الأفكار لن تخطر

ببالـه يا عزيزتي قبل أسابيع طويلة، وحتى ذلك الوقت لا بد أن يكون قد استعاد ذاكرته، كما إنك بحاجة لإجازة.. لقد مررت بفترة عصيبة.. وتبدين تعبة يا عزيزتي!

ـ لا أقدر.

ـ وهل سيعترض خطيبك؟

فوقفت غاضبة، في نفس اللحظة التي دخل فيها الخادم... فقالت:

ـ القهوة.. عودي للجلوس يا عزيزتي.

وبينما هما ترتشفان القهوة، قالت جيني لإيڤا:

ـ يبدو أنك نسيت كم كان لدي من الأسباب لأكرهه! فزواجنا كان محكوم عليه بالفشل.. وكان فراقنا محتماً.

فتغير وجه إيڤا:

ـ لا أريد مناقشة ما حدث.. فالزواج علاقة شخصية بحتة!

فضحكت جيني بسخرية، ونظرت إليها واضعة يديها على خصرها ووقفت قائلة:

ـ ولكن الطلاق ليس أمراً شخصياً إطلاقاً.. أليس كذلك؟ وأنت تعرفين تماماً لماذا تطلقنا.

ـ جيني أرجوك!

كانت جيني غاضبة بشدة أحست معها بعدم قدرتها على التراجع... وأصبح وجهها شاحباً مائلاً للبياض وقالت بمرارة:

ـ لقد حدث ذلك في هذا المنزل.. أتذكرين؟ لقد دخلت غرفتي ووجدته على فراشي مع عشيقته.

وبدت الصدمة على إيڤا.. وشحب وجهها..

ـ أنا.. أنا آسفة..

ـ آسفة؟

NOOR

قالتها بسخرية وكأنها تقصد الإهانة وأكملت:

ـ أيمكن أن تتصوري كيف كان الأمر بالنسبة لي؟

في نبرة صوتها، ألم غاضب، ووجهها مشدود متشنج، مع محاولاتها الجاهدة للسيطرة على البؤس الذي يشتعل في داخلها. وتمتمت إيڤا:

ـ أوه.. يا عزيزتي.

ـ أيمكنك أن تنسي ما حدث لو كنت أنتِ مكاني؟

أحست إيڤا ان هذا السؤال كالخنجر المصوب إليها، فأجابت بصوت أجش:

ـ أنت لم تسمحي لروبرتو أبداً أن يشرح لك حقيقة الوضع.

ـ يشرح لي؟ يشرح ماذا بحق الله؟ ماذا يمكنه أن يشرح إيڤا؟ أيشرح لي لماذا أخذ جيسكا إلى فراشي؟ لقد رأيتهما معاً.. أتذكرين؟ تلك الصورة لم تفارق مخيلتي قط منذ ذلك الوقت، عشت بعدها في جحيم. صدقيني.. ليس هناك من عذر يبرر ما فعله.

وردت إيڤا بصوت مرتجف بائس وهي تنظر إليها بحزن:

ـ الأمور ليست دائماً كما تبدو.

فضحكت جيني بمرارة:

ـ ما حصل كان بسيطاً إيڤا.. واضح كوضوح الشمس.

فبدا الالم في عيني إيڤا:

ـ لا تتحدثي هكذا! أكره سماع ما تقولين.

ـ ولست أحب أن أقوله. ولكنني لن اصغي إليك وأنت تدافعين عن الشيطان.. عن روبرتو... لا شيء تفعلينه يمكن أن يزيل أندرو من الصورة، ولا أنت تريدين هذا.. أعرف أنك تحبين

الصبي.. إذ انه ولد صغير طيب، ولكن كل مرة أسمع اسمه فيها، أتذكر واقع أن روبرتو أصبح أباه وهو في فراشي أنا مع أمه تلك الليلة.

وسارت بخطى ثابتة نحو الباب وخرجت... تاركة إيڤا العجوز تحدق بها بعينين دامعتين.

● ● ●

NOOR

٤ ـ تتبع قلبها

نظر دانيال نيوهام نحو ابنته بذهول وقال صراحة:

ـ إنه وقح.. وهذا أكيد.. جيني.. لا يمكن أن تفكري بالسفر معه إلى إيطاليا.. مرت سنوات لتتخلصي من اثار الكارثة الأخيرة التي سببها لك، والأبله وحده يذهب بقدميه ليتلقى المزيد من العقاب.

والتوى فمه وأكمل بسخرية:

ـ أو يكون معقداً منحرفاً.. أهذا ما أنت عليه جيني؟ هل تتمتعين بالمعاملة التي كنت تتلقينها منه؟

وشحب وجهها.. واتسعت عيناها ثم هزت رأسها:

ـ بالطبع لا!

ـ لماذا إذن؟ لماذا تتركين هذا يحدث لك ثانية؟

وضمت يديها إشارة عجز:

ـ لم أكن أنوي ترك الأمور تصل إلى هذا الحد. أول مرة جرّتني إيفا للذهاب. ثم اعتقدت أنه سيموت.. فكيف يمكن أن أرفض يا داني، وهو على وشك الموت؟

فرقع والدها بلسانه، ودفع يده في شعره الخفيف المشعث.

ـ حسناً إنه لن يموت الآن. وإذا كان قوياً كفاية للسفر إلى إيطاليا، فهو قوي بما يكفي ليعرف الحقيقة.

ولم تستطع إنكار هذا، فأحنت رأسها وتنهدت:

ـ إيفا تريده أن يسترجع ذاكرته بشكل طبيعي.

فبدت السخرية على وجهه:

ـ ولا يهم كم يطول الأمر؟ هل ينوون إبعاد كل الصحف عنه؟ والأمور العملية؟ لأجل الله جيني، ألا يمكن أن تفهمي ما أقصد؟ يجب أن يعرف.. يجب أن يخجل من نفسه... ألن يطرح الأسئلة؟

فاتسعت عيناها:

ـ الصحف؟ انا أقرأها له عندما أزوره.

فابتسم ساخراً:

ـ صحيح؟ ألم يعلق أبداً على ما تقرأينه له؟ ألم تظهر عليه الدهشة؟ لقد تغير الكثير منذ خمس سنوات في العالم!

وجلست على مقعد وراءها وكأن ساقيها لم تعودا تحملانها:

ـ فهمت ما تعني... وهذا لم يخطر ببالي.

ـ نظرة واحدة لتاريخ صحيفة تجعله يتذكر. ألا تظنين أنه سيسأل عن هوة خمس سنوات في ذاكرته؟

نظر إليها لحظات بلطف وأكمل:

ـ حبيبتي... ألم تلاحظي كم تغيرت أنت خلال الخمس سنوات. اخر مرة شاهدك فيها كنت صغيرة... وأنت الآن امرأة.. تسريحة شعرك، زينتك، ثيابك. لا بد أن يكون كل هذا غريب عليه... ومع ذلك لم يعلق مطلقاً؟ أتصدقين هذا؟

ذكاء داني الحاد الدقيق كان دائماً يتفوق على ذكائها. إنه دائماً يضع إصبعه على قلب المشكلة، لا تمنعه قلة تعقلها التي تحدّ من تفكيرها. وبتركيز دقيق فعل هذا الآن، وأحس على الفور بالتناقض

NOOR

الذي كان يجب عليها هي أن تراه، ولكن تورطها العاطفي مع روبرتو منعها من ذلك. بالطبع والدها على حق، من المستحيل أن يكون روبرتو قد أمضى الستة أسابيع الماضية دون ان يتساءل، ولو لمرة، عن هذه الهوة في ذاكرته.

واتسعت عيناها الخضراوان، وسألت بصوت خفيف:

ـ ولمَ يفعل هذا؟

ـ لماذا؟ أنت لست عمياء لهذه الدرجة جيني. أنت تعرفين لماذا تماماً... إنه يريد استرجاعك.

فاحمر وجهها، وأحست بأن قلبها نسي أن يدق عدة دقات:

ـ هل لا يزال يحبني؟

وحملقت بأبيها منتظرة الرد مقطوعة النفس... فتجهم وجه داني:

ـ حب؟ إنها ليست الكلمة التي قد استخدمها.. إنه يريدك... إنه رجل يحب التملك، ويدرك مدى قوته. وأنت هربت من بين يديه... ولقد أدهشني يومها لأنه تركك بسهولة... يوم جاء إلى هنا وراءك كان كالحيوان المجنون، واستلزم الأمر وجود غرانت معي لإخراجه. أمر واحد علق في ذهني حتى اليوم، وهو قوله «إنها لي!» ولطالما ارتعشت كلما تذكرت كيف قالها. إنني لا أطيق الرجال أمثاله، رجال ينظرون إلى المرأة كنوع من الممتلكات.

كلماته أعادت تدفق الذكريات المؤلمة المريرة التي مرت بها. وتركها هذا غير قادرة على الكلام للحظات طويلة، تحدق في الأرض. وعندما استعادت القدرة على النطق، قالت:

ـ ماذا سأفعل؟

والدها رباها بعد موت أمها... وكان مقربان من بعضهما

جداً. ورثت عنه موهبته، ذكاءه، وحبه للجمال. علمها كيف ترى الجمال في أشياء لا علاقة لها بالجمال. فتح عينيها على الحياة بكل ما فيها من تسامح. علمها أسس فلسفة هادئة لتبني عليها نظرتها إلى الحياة. لم تشك لفترة طويلة، أن علاقته بالجميلات من العارضات اللواتي مررن في حياته، لها أكثر من الطابع العملي.. وعندما كبرت لتفهم أنه يحب النساء، كانت قد توصلت إلى مرحلة تقبلت فيها هذا الواقع دون أن تنزعج.. كما تقبلت تماماً لورين التي عاد بها معه من باريس، الصغيرة الحجم، الصريحة، الأميركية الاصل، ذات الشعر الأحمر البني، والابتسامة الواسعة. على الاقل تجيد الطبخ... ومع أنها على الاقل تبلغ نصف عمره، فلديها إخلاص وصدق جعلها محبوبة... وأجابها داني بقطع حبل أفكارها:

ـ ماذا تفعلين؟ افعلي ما يحلو لك... ولكني احذرك... إنه يخدعك. وأنت تعرفين هذا... وإذا استمريت في مقابلته فستتعرضين للألم مرة أخرى.

هذا أمر ممكن... إنه يأمل بأن يتمكن من محو الماضي.. ومن الممكن أيضاً انه يعتقد بقدرته على جعلها تقابله حتى يتسنى لها نسيان ما حصل... وبألم، أحست أن الأمر حقيقي... وشعرت بغضب يقطع أنفاسها.. إذا كان كل هذا ادعاء منه، فهو شرير خبيث، كذاب قذر.

أقنعت نفسها مئات المرات بأنها لن تذهب لزيارته ذلك اليوم... ولكنها في النهاية ذهبت، توبخ نفسها على ضعفها، وتتجادل مع نفسها في كل خطوة من الطريق. حتى وهي واقفة خارج غرفته، ترددت... لقد تجاوزت ساعات زيارته المعتادة

NOOR

بكثير، ولا تزال أمامها فرصة للرجوع، وهي تقف هناك.. سمعت صوتاً غريباً في الداخل... آهة مخنوقة. إنه يتألم.. وفتحت الباب على الفور، وعيناها تطيران إليه وشاهدت رأسه مدفوناً في الوسادة. ولم يتحرك، تاركاً وجهه مختبئاً عنها. فركضت نحوه، ولامست كتفه، وهمست:

ـ روبرتو... ما بك؟

بقي جامداً للحظات، ثم، ودون أن يرفع رأسه تمتم:

ـ لا شيء... رأسي...

فجلست قربه، تداعب خصلات شعره البادية من تحت الرباط، وتدلّك له مؤخرة عنقه:

ـ هل يؤلمك؟ أأستدعي لك الممرضة؟

فتنهد:

ـ إنه أفضل الآن... استمري في التدليك.

وأحست بعضلات عنقه تسترخي. وتنفس بعمق:

ـ آه... هذا رائع... لك يدان شافيتان يا جيني!

ارتفع الدم إلى وجهها وقد أدركت ما تفعل، وما تشعر... كل نواياها السابقة تلاشت.. كيف يمكن أن تواجهه بعد هذا؟

استدار ليتمدد على ظهره، ورفع عيناه إلى وجهها.

ـ لقد تأخرت... ظننتك لن تأتي.

ـ كنت أعمل.

ـ ترسمين؟

كان وجهه هادئاً، لا قلق فيه، ولو أنه يمثل فهو ممثل ممتاز.. ماذا لو كان داني وغرانت مخطئان؟ ماذا لو أنه لا يخدعها؟ وهل تستطيع، أو هل تجرؤ، على إجبار ذاكرته على

العودة، لتصدمه وتسبب له نوعاً من الانهيار؟ أتستطيع أن تعيش مع ضميرها المعذب لو أضرّت به؟

ونظر الى أصابعه التي تمسك بالملاءة البيضاء، والهدوء بادٍ على وجهه:

ـ هل ترين كراولي كثيراً؟

فتنفست بحدة، ونظر اليها متسائلاً، فأجابته:

ـ أراه بين حين وآخر.

أدار وجهه عنها دون أن يرد. وجهه تعب، شاحب، أشفق قلبها عليه... وقالت:

ـ أنت تعب.. الأفضل أن أذهب لاتركك تستريح.

مد يده ليمسك بيدها وقال بلهجة لم يكن فيها رجاء، بل امر:

ـ ابقي... لقد قامت أمي بكل الترتيبات لسفرنا إلى ايطاليا.

فأجفلت وشعر بها، وشد بأصابعه على يدها.. فقالت:

ـ روبرتو...

فتحت فمها لتقول إنها لن تذهب معه، لن تستطيع، لن تستطيع الاستمرار بكل هذا الادعاء... ولكنه قاطعها:

ـ ستكون الممرضة معنا، ولا حاجة لك للقلق عليّ. أظنهم سيخدروني.. ولا يبدو أنهم مقتنعون بسفري.. ولكنني سئمت من البقاء في هذه الغرفة، وأريد الابتعاد عن جو المستشفى، أن أرتاح في محيط أحبه، لقد سئمت من حياة المستشفى جيني. ستة أسابيع وقت طويل ويكفي. وانا واثق من شفائي بسرعة أكبر في إيطاليا.

ـ هل هي ممرضة ممن كن يعتنين بك هنا؟

فضحك وأكمل كلامه والابتسامة على شفتيه:

ـ لا.. لقد حصلوا عليها من وكالة خارجية للتمريض، وجاءت هذا الصباح لتتباحث مع الأطباء... انتظري حتى

NOOR

تشاهديها. لم اكن أدري أن هناك ممرضات جميلات هكذا.

ـ وكيف تبدو؟

لا فائدة من كتمان الأمر... إنها تغار، لقد أحست بالعوارض المألوفة للغيرة في معدتها. فقال ضاحكاً:

ـ إنها حمراء الشعر، ولها جسد كممثلات السينما. يجب أن انتبه إلى ضغط الدم وهي معي.

لمعت عيناها بالغضب، ونظر متسلياً إلى وجهها الغاضب.. ولكن ما حدث غيّر من مزاجها.. فهو لو كان يذكر الماضي لما حاول المزاح وإثارة غيرتها هكذا. ولن تصدق أنه يستطيع فعل هذا الآن لو أنه يتذكر ما حدث، لو أنه يتذكر جيسكا، والطلاق.

قبل أن تتركه بعشر دقائق. لم يكن قد عاد لذكر الرحلة، ولكنها كانت تعرف أن إرادتها تضعف، وسارت لمدة ساعة في الجو البارد المثلج. أفكارها المشوشة منعتها من التفكير بتعقل. يوم فاجأته في الفراش مع جيسكا.. فكرت بالانتقام، على نفس طريقة خيانته. فكانت تستطيع أن تستسلم لغرانت لولا أن والدها أسرع بإرسالها إلى لندن.

ليلة سماعها بزواج روبرتو من جيسكا، ذهبت الى حفلة راقصة، وعادت الى شقتها مع شاب، كادت تستسلم له لولا أنها في اللحظة الأخيرة لم تستطع.

عندما التجأت أخيراً الى غرانت، لم تكن تتوقع أن يكون لها معه ذلك الشغف الذي عرفته من قبل. لم تكن قادرة في الواقع أن تقدم له الكثير حتى ولو حاولت. صحبتها له عميقة، ولكنها فاترة فيما لو قورنت بمشاعرها العنيفة تجاه روبرتو.

أخيراً، توصلت الى قرار قاطع حول ذهابها معه وقدرتها على

تحمل بضعة أسابيع معه في إيطاليا لوحدهما.

ذهبت الى منزل والدته، وجلست إيڤا تمسك بيدها بحنان تصغي بهدوء اليها وهي تحاول شرح مشاعرها المعقدة. وقالت إيڤا بهدوء:

ـ تجعلين الأمر يبدو معقداً جداً يا عزيزتي... هناك سؤال واحد عليك الإجابة عليه.. هل تريدين حقاً الذهاب معه؟

فتأوهت جيني:

ـ تعلمين جيداً أنني أريد... إيڤا... منذ سنتين عندما اتصلت بي بعد موت جيسكا... لترتيب لقاء معه، هل كان يعرف أنك تتصلين بي؟

ترددت إيڤا بشكل ظاهر، واستطاعت جيني أن تلاحظ في عينيها رغبتها بالكذب... ثم تنهدت تهز رأسها:

ـ لا... لم يكن يعرف. كان يرغب في رؤيتك، وعرفت هذا.. كنت في أفكاره على الدوام، وكان هناك مئات من الأمور الصغيرة تدل على ذلك. ولكنه كان يخاف. يخاف أن ترفضيه بطريقة تعمّق جرحه أكثر.

ـ جرحه؟ أي جرح؟ توحين لي أحياناً بأنه كان بحاجة لمن يشفق عليه مني. ما حدث كان فعلته وليست فعلتي... مجروح..؟ كنت يومها اود أن أراه يحترق بنار جهنم.. أكرهه يا ايڤا.

نظرت اليها ايڤا بهدوء تهز رأسها وكأنها لا تصدق كلمة مما تسمع... وأحست جيني أنها سئمت من كل شيء... من نفسها، من روبرتو، من كل شيء، وأكملت:

ـ لقد بدا منذ شهر أن كل شيء قد انتهى... لقد كرهته،

NOOR

لدرجة أنني كنت مستعدة لأمر من فوقه وهو جريح ينزف حتى الموت دون أن أنظر اليه.. ولكن هذا الاسبوع الأخير نسف كل شيء، وأحياناً أشك في أنه يفعل هذا متعمداً، وبدأت أشك في أنه فقد ذاكرته.. أظنه يلعب لعبة خبيثة معي.

ـ إذا كان يفعل هذا، هل ستفهمين دوافعه؟

وأجفلت جيني... هل تعترف إيڤا بالأمر؟

ـ وهل يفعل؟

ـ الأطباء يقولون لا. إنهم واثقون من أنه أغلق ذاكرته على الماضي.. ولكن دعي هذا جانباً.. لو أنه يتظاهر فهل ستفهمين حاجته للتستر قبل إعادة التقرب اليك، لأجل كبريائه؟ روبرتو من آل باستينو، وكبرياؤه لا يوصف... كان دوماً هكذا. وستكون إهانة لرجولته لو اعترف بضعفه، وخاصة أمام امرأة. ألا يمكنك الغفران له لأجل هذا؟

ـ ولكنه داس على كرامتي.. فلماذا أسامحه لحماية كرامته؟

ـ كرامة المرأة في أن تضحي... وكلانا يعرف هذا.. نحن لا نعير كرامتنا الكثير من الاهتمام... الرجال هم من يقدسونها، يحاربون لأجلها، ومستعدون للموت في سبيلها... أما المرأة فلديها التفكير العملي أكثر كي لا تضحي بشعرة من أجل الكرامة.

ـ أنت تتحدثين عن الإيطاليين.. أما الرجال في أميركا فلا يتحدثون عن الموت لأجل الكرامة صدقيني؟

ـ الأميركيون؟ ولكن نحن نتحدث عن روبرتو، زوجك، ابني...

ـ لم يعد زوجي!

ـ ولا حتى في قلبك؟

ردت عليها جيني بنفس لهجتها الدرامية:

ـ عندما شاهدته مع جيسكا تحطم قلبي! لفترة طويلة بقيت أشعر بالفراغ وكأنني ميتة. وعندما شفيت أصبحت لديَّ الحكمة الكافية كي لا أفرط بقلبي ثانية... لا يا إيڤا... روبرتو لم يعد زوجي بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى.

ـ لماذا إذن الرغبة في السفر معه؟

بدا الانتصار على إيڤا وهي تسأل، وأحست جيني باحمرار وجهها من الغضب فوقفت على قدميها وقالت بخشونة:

ـ لأنني حمقاء... وهذا ما أنا عليه... وإلا لما فكرت بالأمر.

فابتسمت إيڤا:

ـ ولكنك ستذهبين... أليس كذلك جيني؟

ولم تستطع الرد، بل وقفت وقبضتاها مطبقتان وعلى وجهها تتصارع مختلف المشاعر.. وبعد لحظات طويلة أجابت:

ـ إذا ذهبت، فلن أريد تلك الممرضة الحمراء الشعر يا إيڤا.

فاتسعت عينا إيڤا:

ـ ماذا؟

ـ الممرضة التي استخدموها، يقول روبرتو عنها إنها صاعقة الجمال.

كانت وبكل طفولية قد أعمت الغيرة أبصارها... ونظرت إلى إيڤا وشفتها السفلى بارزة إلى الامام كالأطفال:

ـ استبدليها.. استخدمي ممرضة مسنة. لن أتحمل أن يزعجني بمزاحه عنها ونحن هناك!

فضحكت إيڤا مسرورة:

ـ وهل فعل هذا؟

ـ اوه.. ومتعمداً، مع أنه أظهر الأمر وكأنه مزاح، ولكنني لن

NOOR

أتحمله.

فلمعت عينا إيڤا:

ـ سأستخدم ممرضة تشبه التنين... أعدك.

ـ قبيحة مثل الخطيئة. هكذا أفضل. ولأرى حينها كيف سيتغزل بها!

ـ سأختار أكبر وأقبح ممرضة لديهم.

وضحكت عالياً، ثم رافقت جيني إلى الباب، وقالت:

ـ وتدّعين أنك لا تهتمين به؟

ـ أتمنى هذا. ولكن هذا لا يعني أنني سامحته... لن أسامحه أبداً.

بعد مرور أربعة أيام على هذا اللقاء، كانت جيني في طائرة خاصة تملكها امبراطورية باستينو، مع روبرتو وامرأة في الخمسين تعنى بالمريض.

ونظر روبرتو إلى جيني:

ـ أعتقد أنه علي أن أشكرك على هذا الغول... أم إن هذا عمل أمي؟

رفعت جيني ذقنها متحدية:

ـ لست أدري عما تتكلم.

فابتسم لها ساخراً:

ـ صحيح؟

واضطربت الطائرة بحدة، فشهقت وسارع إلى تغطية يدها بيده.

ـ لا تقلقي... الطائرة تستدير لتدخل في المسار العالمي للطيران.

بعد لحظات، انخفض جفناه، فقد بدأت الحبوب المنومة التي

اعطيت له قبل الإقلاع تعطي مفعولها. وببطء استغرق في النوم.

حطّت بهم الطائرة في مطار لشبونة للتزود بالوقود قبل متابعة الطريق رأساً إلى نابولي... ومن ثم أقلعت إلى جزيرة صغيرة مقابل خليج نابولي يملكها كبار الأغنياء في ايطاليا. شواطىء الجزيرة الصخرية بدت واضحة المعالم والطائرة الخاصة الصغيرة تدور حولها، ثم ظهرت أمامهم أنوار المدرج الذي ستنزل فيه الطائرة.

الفيلا، كانت تبعد بضعة أميال عن المطار، وجلس روبرتو يحدق من النافذة متذكراً مرتع طفولته.

قاد جوزيبي السيارة بهم وهو يتحدث إلى روبرتو عن آخر أخبار الجزيرة وعائلاتها العريقة، ولكن جيني أحست بالنعاس، ولم تستيقظ إلا بعد توقف السيارة، لتجد نفسها ملتصقة بروبرتو، وذراعه على كتفيها، وحرارة صدره تحت خدها. ساعد جوزيبي روبرتو الذي أصرّ على السير نحو المدخل... وسار ببطء، يرتاح بعد كل خطوة، ولكنه أخيراً نجح في الوصول، ترافقه ابتسامة جوزيبي واستحسانه. ولاقتهما زوجته ماريا، تعلو وجهها ابتسامة السعادة وهي تبكي بكلمات الفرح، وتحتضن روبرتو، الذي عرفاه منذ طفولته، وأخذت تقبل وجنتيه مراراً.

ماريا كانت لا تزال ترتدي السواد حزناً على ابنها الأكبر الذي مات غرقاً في قارب صيده، ولا زالت حتى الآن تشعل له الشموع في كنيسة الجزيرة الصغيرة. ابنها الآخر، الاندو، لديه بستان زيتون في الجبال الداخلية للجزيرة. ويعيش مع زوجته وأولاده الأربعة في منزل ابيض اللون داخل بستانه، ويزور أبويه يوم الأحد من كل أسبوع، وسأل روبرتو عنه وتبسم لسماعه لهجة المرأة الفخورة

NOOR

بابنها بالرغم من اختلافها الدائم معه.

وقفت جيني منتظرة أن تلاحظ ماريا وجودها، وتتساءل عن ردة فعل المرأة المسنة عندما تراها. وأخيراً استدارت العينان السوداوان إليها.. ولكن لم تظهر الدهشة على ماريا لرؤيتها بل مدت ذراعيها بحرارة، فاندفعت جيني إليهما، وأخذتا تتبادلان القبل.

بدا روبرتو شاحباً، فتدخلت الممرضة طالبة إليه أن يتوجه إلى سريره... وقادتهم ماريا إلى الطابق العلوي... هذه الفيلا بناها جد روبرتو منذ أربعين سنة، ومنذ ذلك الحين لم تلق إلا القليل من التجديد... في طرازها القديم وغرفها الواسعة المرتفعة السقوف، ونوافذها العالية والشرفات الواسعة المطلة على جزء كبير من أرض الجزيرة.

أخيراً تُرك روبرتو لرعاية ممرضته، وانسحبت ماريا على مضض تظهر بوضوح عدم رضاها على ترك مريضها المحبوب بين يدي امرأة غريبة. لم تنجُ جيني من عدائية ماريا للغرباء بل قد شملتها هي أيضاً فيما مضى. ولكنها كانت قد بدأت تلين قبل الطلاق بقليل، وهي تبدو الآن متلهفة لجعل جيني تحس أنها في بيتها. وأخيراً تركتها لوحدها في غرفتها، لتفاجأ بأن إيڤا قد أعطت تعليماتها الصارمة لجوزيبي وماريا بخصوصها. وترحيبهما المتوقع لوجودها أبرز ذلك بوضوح.

تعبها الشديد الليلة منعها من إعطاء هذا الأمر أهمية كبرى. فغطت في نوم سريع لحظة أغمضت عينيها، واستمرت هكذا طوال ذلك الليل الدافىء الطويل.

عندما استيقظت، كان نور الصباح قوياً، واستلقت تصغي إلى

هدير أمواج البحر البعيد وهي تتكسر على أقدام الصخور. تتأمل شمس الشتاء وشعاعها الذي يتراقص على جدران غرفتها.. إنها تشعر براحة غريبة في هذا المكان المنعزل الهادىء.

بدت لها كل الانفعالات والتوترات التي مرت بها في الأسابيع الماضية وكأنها ذكرى بعيدة... وأحست بقلبها يخفق بوعي مفاجىء.. إنها الآن مع روبرتو لوحدهما تحت سقف واحد... بعد خمس سنوات من الفراق.

● ● ●

NOOR

٥ ـ جزيرة المفاجآت

لمدة يومين بعد وصولهما، أصرت الممرضة على ملازمة روبرتو للفراش، فالرحلة كانت مرهقة له أكثر مما يبدي. وبالرغم من إقراره بتعبه، فقد أصرت بعناد، وكان إصرارها محقاً إذ ان جيني كلما ذهبت لزيارته تجده بين النوم واليقظة، فينظر إليها مترنحاً من النعاس ويقول:

ـ يبدو أن السفر قد أنهك قواي. . . آسف يا جيني.

فتقف قرب سريره تمرر إصبعها على وجهه:

ـ لا بأس روبرتو. . سوف تستعيد قوتك عما قريب.

بينما هو مستلق ومتعب، كانت تتجول في حدائق الفيلا وكأنها تستعيد ذكرى ما مضى. . . كلما أطلت على منظر جديد كان يذكرها بحدة بلحظات من الماضي، وكانت تتخيل نفسها كما كانت منذ ستة سنوات. ومن نظراتها الناضجة الآن، استطاعت أن تدرك كم كانت صغيرة، دون خبرة، دون اي معرفة باخلاق الرجل الذي تعيش معه، غير واثقة لا منه ولا من نفسها، شديدة الحساسية ورقيقة. لذلك كانت هدفاً سهلاً لجسيكا، ولا عجب ان تلك الفتاة الايطالية ضحكت عليها!

صباح اليوم الثالث، أصبح روبرتو بصحة جيدة سمحت له بالوقوف مستنداً إلى الممرضة، وهو يصرّ بأنه قادرٌ على الوقوف.

وكم كانت تتمنى أن تبقيه في فراشه لبضعة أيام أخرى لو استطاعت، ولكن طباعه المستبدة تغلبت على عنادها خاصة بعد استعادته لنشاطه. صاح بها وعيناه السوداوان شرستان:

ـ سوف أقف!

كانت جيني في غرفتها عندما سمعته يصرخ، واستدارت لتنصت وشبح ابتسامة يتراقص على شفتيها. إنه روبرتو الذي تذكره. لم تسمع هذه اللهجة في صوته منذ الحادثة.

خرجت لتدق باب غرفته، وتقدمت الممرضة لتفتح لها، والانزعاج بادٍ عليها، وهمست بغضب:

ـ إنه يتلاعب سيدة باستينو.

وكأنما روبرتو ولد صغير عنيد يلعب حيث لا يسمح له اللعب وبحاجة إلى ضرب على قفاه. . آه كم تتمنى لو تفعل. لو أنها تجرؤ.

وحدق روبرتو بهما وصاح:

ـ لمَ كل هذا الهمس؟ جيني تعالي إلى هنا! لن أسمح بالتآمر عليّ من خلف ظهري!

فابتسمت جيني للممرضة، وكأنها تعتذر. . ثم تقدمت نحوه وعيناه مثبتتان عليها. . . وأحست بالغضب للاهتمام الذي يظهر في نظراته. . وأحست أكثر فأكثر برغبة في ضربه. وتجولت عيناه في بلوزتها وسروالها الأسود.

ـ لمَ ترتدين هذه الملابس؟ أكره النساء اللواتي يرتدين السروال. . . اخلعيها.

فنظرت إليه ببرود وقد رفعت حاجباً واحداً:

ـ أعصابنا متوترة هذا الصباح. . . أليس كذلك أيتها الممرضة؟

NOOR

فردت الممرضة بارتياح:

ـ نحن هكذا دائماً كلما أحسستا ببعض التحسن.

ونظر إليهما روبرتو بغضب:

ـ لا تتحدثا عني هكذا! وكأني طفل... لأجل الله...! لن أحتمل هذا!

فردت عليه جيني بعذوبة:

ـ إذن عليك الاستلقاء والراحة. أنت لا زلت ضعيفاً على الوقوف.

فقال من بين أسنانه:

ـ جيني... سأقف!

فهزت رأسها مبتسمة، وهي تعلم أن لا شيء يثير جنونه أكثر مما تفعل:

ـ لا يا حبيبي... يجب أن تفعل ما تقوله الممرضة.

وصرّ على أسنانه بصوت مسموع، وبرزت عظام فكيه.. وبدا الحبور على الممرضة التي روّعها من قبل بعصبيته، وقالت له:

ـ زوجتك محقة... سيد باستينو.

وأردفت جيني بصوت ناعم خافت:

ـ الممرضة تعرف ما هو أفضل لك.

وبدا عليه السكون، يداه ممدودتان إلى جانبيه وقبضتاه مشدودتان. ثم تمتم:

ـ يا إله السماوات!

واستدار ليستلقي على جانبه كي لا يراهما.. كل حركة في جسده تنم عن غضب. فغمزت الممرضة جيني وخرجت. ووقفت جيني تنظر الى الرأس الأسود. تراقب التوتر البارز على عضلات

عنقه من خلال تجاعيد شعره:

ـ هل ستبقى مقطباً طوال اليوم؟

فاستدار بحدة:

ـ ومن المقطب؟

فسخرت منه وعيناها تضحكان:

ـ أوه... روبرتو...!

ـ لقد سئمت البقاء مقيداً في السرير... وفكرت بقضاء بضع ساعات معاً.

شيء ما في طريقة كلامه جعلها تجفل، وتتراجع خطوة إلى الوراء، وتندفع نبضاتها متسارعة. وبطريقة ما استطاعت أن تقول ببرود:

ـ لا زلت مريضاً روبرتو... أعلم أن الأمر صعب عليك، ولكن يجب أن تواجه الواقع. الرحلة كانت مرهقة لك. فاعطِ نفسك فرصة للراحة.

ـ ابقي معي إذن.

في لهجته دعوة أكثر مما تعني الكلمات، فأحست بالحرارة تشتعل داخل جسدها، فأشاحت بنظرها عنه.

ـ لو بقيت معك فلن ترتاح.. ستستمر في الكلام... يجب أن تتعلم كيف ترتاح... يجب أن تمضي ساعات يومياً دون أن تفعل شيئاً على الإطلاق.

فتمتم:

ـ هذا يبدو مضجراً للغاية.

فاستدارت عنه متجهة إلى الباب:

ـ مهما يكن، هذا ما يجب أن تفعله.

جلس روبرتو فوراً في فراشه، عيناه تلمعان، ورأسه مرتفع

NOOR

بكبرياء:

ـ إلى أين أنت ذاهبة؟

ـ سأتمشى قليلاً.. أراك لاحقاً.

ـ عودي إلى هنا!

ولكنها تجاهلته وتابعت طريقها، حيث التقت بالممرضة التي ابتسمت لها شاكرة فقالت لها جيني:

ـ راقبيه جيداً، فهو سيحاول الخلاص.

ـ لا تقلقي سيدة باستينو.. سأفعل.

أحست جيني بلذة الانتصار، وخرجت من الفيلا عبر الحديقة المتدرجة باتجاه البحر. وهبت ريح لاذعة لعبت بشعرها، وأعادت اللون الزهري إلى خديها.. لقد أحست بسعادة ولذة أكبر في إجباره على الطاعة، وأحست أنها قادرة على التعامل معه... إنه رجل اعتاد على إصدار الأوامر، أفسدته سنوات من الثراء والسلطة، ومع أنه دللها في أول أشهر زواجهما، إلا أنها كانت دائماً تشعر بأنها العبدة وهو السيد. لا يسمح لها أبداً بان تنسى أنه المتفوق عليها بكل ما في الكلمة من معنى. يعاملها بترفع حتى وهو يحبها وكأنما هي قطة خائفة تائهة التقطها من الشارع وجاء بها إلى بيته.

تعمدت جيني البقاء بعيدة عنه لما تبقى من اليوم، مع أنه أرسل عدة رسائل مع ماريا تفيد بأنه يرغب في رؤيتها، إلا أنها كانت تشكر المرأة، وتستدير مبتعدة تحت أنظارها الفضولية المليئة بالدهشة والاستغراب.

آوت الى الفراش باكراً بعد تأكيد الممرضة لها أنها أعطت روبرتو دواءً منوماً، وأنه نام بسرعة. نزهتها الطويلة على الشاطىء

أتعبتها، وغطت في النوم على الفور تقريباً.

في الصباح التالي كان روبرتو يقرأ جريدة إيطالية عندما وصلت الى غرفته. ونظر إليها ببرود كما نظرت إليه. وعلمت على الفور أن تصرفاته تغيرت. وقال لها بصوت مليء بالشر:

ـ تعالي إلى هنا.

فردت متظاهرة بأنها لم تسمعه:

ـ سأتمشى قليلاً على الساحل الصخري اليوم.

وقال لها وعيناه تضيقان بتهديد:

ـ تعالي إلى هنا، وإلا سأنهض لآتي بك.

فاستدارت تتظاهر بالدهشة:

ـ ما الأمر؟ أتحس بالتوتر ثانية؟ الممرضة تقول ان هذه علامات التعافي... وسرعان ما ستشعر بالراحة.

وكشر عن أسنانه بوحشية وتمتم:

ـ يا إلهي! أنت ترغبين بالمشاكل.. تعالي إلى هنا.

وتقدمت إلى السرير تحدق به.. هل تتخيل، أم إنها تشاهد أمامها روبرتو القديم، تلك الشخصية القاسية، المتسلطة، القوية، التي لم تظهر منذ مرضه؟ وقالت بصوت خافت:

ـ لا تكلمني هكذا روبرتو.

ومد يده ليمسك بيدها ويجرها لتجلس على السرير، بحيث لا يمكن لها أن تتخلص إلا إذا قاومت بعنف وآذته. فصاحت تتلوى لتتجنب فمه الذي اقترب منها ليمر فوق خدها باحثاً...

ـ اتركني!

ولكنه لم يرد، وتابع محاولاته للسيطرة عليها وأحست بغضبه لمقاومتها، وسمعت أنفاسه المتحشرجة، وحركات يديه عليها.

NOOR

وأدارها إليه بالرغم من مقاومتها وعندما نظرت في عينيه عرفت.. سألته والذهول في صوتها ونظراتها:

ـ أنت... تتذكر؟

فابتسم ابتسامة متجهمة، ولم يرد. وتصاعد غضبها ليماثل غضبه. غضب مرير محرق سرى في شرايينها وكأنه النار في الهشيم، وبرز في عينيها الخضراوين.

وأطبق فمه عليها قبل أن تستطيع الانسحاب، دون عاطفة، ودون اهتمام. إنه يظهر لها غضبه ويطلب منها الخضوع. ووضعت يديها على صدره، محاولة صدّه رافضة أن تلين أمام قوته، وأخيراً سمح لها بأن تبتعد... أخذت أنفاسها تتسارع وهي ترتجف ونظرت إلى عينيه الساخرتين.

ـ متى استعدت ذاكرتك؟

ـ بعد ثاني زيارة لك إلى المستشفى.

وجمدت، تحدق به غير مصدقة، وجهها شديد الشحوب من جراء الصدمة التي تلقتها ثم همست بخشونة:

ـ أيها الخنزير الكاذب

وقاومته لتترك السرير:

ـ اتركني! لن أبقى هنا بعد الآن. إني راحلة.

ـ سباحة كما أعتقد؟

وسخرت منها عيناه.. أوه يا إلهي... بالتأكيد، كيف سترحل؟ وصاحت به:

ـ سأجد مركب صيد يوصلني إلى نابولي.

فرفع حاجباً واحداً:

ـ أتعتقدين هذا حقاً؟

ليس هناك رجل في كل الجزيرة يجرؤ على المخاطرة بتلقي غضب روبرتو باستينو... وكلاهما يعرف هذا. وتصاعد غضبها بعد أن عرفت المأزق الذي رمت نفسها فيه... لقد سارت بقدميها الى هذا الكمين وعيناها مفتوحتان.

ونظرت إليه بمرارة.

ـ ولمَ كذبت عليّ طوال هذه الاسابيع؟

ـ هل تعنين أنه لم يخطر ببالك أنني استعدت ذاكرتي؟

ـ لقد فكرت بهذا طبعاً.

ـ إذن؟

ـ لم أكن أعتقد أنك ستكون خنزيراً قذراً هكذا. كان عليّ أن أعرف، فهذا يتوافق مع أمثالك، ولكنني لا زلت أجد صعوبة في التصديق أن هناك من بإمكانهم التصرف هكذا دون تردد أو خجل.

وأصابت الهدف... ضاقت عينا روبرتو، وأصبحتا كالبركان الثائر، واشتد فكاه، ولكنه استمر في الابتسام، وكأن كلامها مثل الماء على ظهر بطة. وعندما عادت لمحاولة الخلاص منه شدها إليه أكثر وقال بنعومة فائقة:

ـ لا.. لن تفعلي.

فقالت بقسوة وهي تنظر إلى وجهه باحتقار.

ـ لا أطيق أن تلمسني.

ارتجفت شفتاه، ولكنه استمر بالابتسام، وزاد ضغط يديه على ظهرها، وأحست برغبة الأذية تغطيها تلك الابتسامة. وقالت، وهي تتمنى لو أنها تثق بما تقول:

ـ لن تستطيع استبقائي هنا رغماً عني.

ـ ألن أستطيع؟

NOOR

ـ سأجد سبيلاً للهرب من الجزيرة!

فضحك عالياً:

ـ كما قلت لك.. بإمكانك السباحة، وأرجو أن تكون سباحتك قد تحسنت. آخر مرة رأيتك في البحر كنت تعومين كالكلب، ولم تستطيعي اجتياز مسافة قصيرة.

وكان الغضب قد استبد بها حتى لم تستطع أن تجيب، فأشاحت بوجهها عنه.. وبعد لحظات قالت:

ـ لا بأس إذن.. بإمكانك حجزي هنا.. ولكنك لن تجبرني على رؤيتك.

وتمتم بكلمات إيطالية ثم قال:

ـ لا؟... وبعد كل هذه الأسابيع من اللطف والمحبة؟ لقد تمتعت حقاً بوجودك إلى جانبي كل يوم... حلوة ومطيعة. بالكاد تعرفت إليك. لقد ظننت حقاً أنك تغيرت!

ـ ولكنك كنت مخطئاً.

ـ هذا ما يبدو، للأسف. لقد أحببت تمثيلك المحتشم.. حقاً.. كدت تخدعيني.

ـ كدت أخدعك؟ وتقولها بأعصاب باردة؟

ـ كان يجب أن تكوني ممثلة.

ـ أنا لست من صنفك، فتمثيلك متقن، لقد أحسست فعلاً بالأسف عليك. لقد أقنعتني كما اقنعت أمك بأنك ستموت.

وظهرت الحدة في عينيها:

ـ ولكن هل هذا ما حدث حقاً؟ أم أن إيڤا كانت تشاركك؟ هل كانت تعلم بأنك تمثل؟ أعتقد هذا!

وأحست بألم لا معنى له.. لقد كذبت عليها إيڤا. وهذا

يؤلمها، والجواب ظاهر على وجهه...

ـ يا إلهي.. لم يكن بمقدوري تصديق هذا عنها... كيف يمكن لها أن تفعل هذا بي؟

وتراجعت يداه عنها، وقال ببرود:

ـ لقد فعلت هذا لأجلي. وإذا كنت تريدين لوم أحد.. فلوميني أنا. فأنا منعتها من إخبارك بأنني استعدت ذاكرتي.. لقد كانت معي عندما عاد كل شيء إلى رأسي. وكانت ستقول لك لولا أنني توسلت إليها.

واستدار لينظر عبر النافذة.. فسألته، كارهة نفسها لهذا السؤال:

ـ لماذا؟ لماذا أردت إخفاء الأمر عني؟ لماذا استمريت بالتمثيل يوماً بعد يوم؟

فهز كتفيه ببطء:

ـ كنت أتمتع بالأمور كما هي.

ـ لقد استغفلتني. وكذلك إيڤا. لطالما أفسدتك...

واحمرّ وجهها ذلاً، فضحك ضحكة متوترة:

ـ أنا؟.. أنت من أفسدك الدلال يا جيني!

فحدقت به غير مصدقة ما تسمع:

ـ وماذا تعني بكلامك هذا؟

ـ لقد ترك لك والدك حرية العيش كما يحلو لك. كان لديك الكثير من الحرية... فنشأت غير مبالية وعنيدة، أمام حاجات ورغبات الآخرين.

ـ أنت تعني حاجاتك.. ورغباتك!

ـ كنت زوجك!

NOOR

ـ بل سجّاني. كنت تمتلكني، كما تمتلك قطة أعجبتك من الشارع... أوه... لقد أعطيتني الحرير والفرو والمساحيق التي أرغب بها، ولكن لم يكن لي مكان حقيقي في حياتك، روبرتو. كانت عائلتك تهمك أكثر مني بكثير. لم أكن سوى مجرد دمية تمتلكها.

تحركت لتقف، ولكن يداه أمسكتا بها، بقوة لم تستطع مقاومتها وجذبها هذه المرة فوقه حتى أصبح جسدها مستلقياً فوق جسده، وقال بخشونة:

ـ دمية لها مخالب. لقد تركت مخالبك آثاراً على جسدي مراراً.

ـ فقط عندما كنت تعاملني بقسوة.

ـ ولكنك لم تكوني مستاءةً من قسوتي... أليس كذلك؟

فهمست بصوت كالفحيح:

ـ أكرهك.

فاقترب منها:

ـ قد يتحول هذا إلى تحدٍّ.. ألم يخطر ببالك هذا؟ قد أجد حقدك ورفضك محفزاً لي أكثر من الإذعان.

ـ هذا يحدث مع متوحش يتمتع بأذية النساء.

أزعجه هذا الكلام، وسمعت صوت تنفسه الحاد. واشتدت قبضة يديه عليها، وحجزها بعنف:

ـ لا تجعليني أغضب، وإلا ستكتشفين كم أستطيع أن أكون متوحشاً.

ـ لست بحاجة إلى درس آخر.. فأنا أعرف.

صمت للحظات.. ثم تمتم:

ـ وهل كراولي متوحش جيني؟

وأحست بخديها يحترقان:

ـ غرانت؟

ـ هل هو متوحش؟ لطالما اعتبرته كلباً مدللاً أكثر منه رجلاً... فلا تقولي إنك وجدته العاشق الملائم يا حلوتي؟

فردت بصوت متوتر:

ـ أنا أحب غرانت.. ولن أتحدث عنه معك.

ـ وهل تستخدمين مخالبك عليه؟ أم إن الأمور تجري بلطف بينكما؟

ـ أوه.. اخرس! غرانت رجل صبور وكريم و...

وقاطعها بلهجة فيها غضب غريب محرق:

ـ صبور؟ أوه... أجل... إنه هكذا. وسيبقى دائماً موجوداً... ينتظرك أليس كذلك! حتى خلال زواجنا.. كنت تتسللين سراً إليه.

ـ كنت أذهب لأساعد أبي في تصاميمه، وكان غرانت يزوره من وقت لآخر.

فضحك بخشونة:

ـ تساعدين أباك.. كم أنت مقنعة بهذا العذر!

وصدمها هذا الكلام بقسوة، وارتفع غضبها، فنظرت إليه:

ـ صدق أو لا تصدق... فأنا رسامة أزياء ممتازة... فاستبقِ سخريتك لنفسك.. فلقد بدأ اسمي يظهر في عالم الأزياء، واللعنة عليك!

ـ أنت تعنين أن كراولي يصنع لك ذلك الاسم.. لقد قلت لي مرة ان صاحب دار الأزياء هو من يصنع أو يحطم المصمم الفنان. وهو يتأكد من دفع تصاميمك للتنفيذ كلما سنحت له الفرصة..

NOOR

فأنت إذن من صنعه في عالم الأزياء.

فردت صارخة:

ـ هذا كذب! أنت تكره الإقرار بأن المرأة يمكن أن تكون ناجحة في أي شيء.

ـ بالعكس... فالمرأة ممتازة... لشيء واحد.

ـ أنت الخبير.. فلديك ما يكفي منهن!

فرفع رأسها إليه قبل أن تستطيع منعه:

ـ ليس ما يكفي.. لا يا جيني.

وحدقا ببعضهما، ثم حاولت إرجاع رأسها إلى الوراء ولكن يده خلف عنقها منعتها، وعندما لامس فمه وجهها كان في عناقه نوايا عديدة. فقد جعلها عن قصد تشعر بما يشعر به.

ولكنها لم تستجب، بل تماسكت متصلبة رغم أن أحاسيسها كانت تشتعل بحركاته المغرية. ورفع رأسه ليقول بلؤم:

ـ كراولي لم يعلمك الكثير.

ـ لقد علمني أن العلاقات العابرة تثير الاشمئزاز.

فأجفل لكلامها الجارح، فاغتنمت الفرصة لتتخلص منه وتهرب خارج الغرفة. ثم سعت إلى الحرية عند الشاطىء والصخور، لتجد في تغريد الطيور، وهدير الأمواج، راحة النفس التي تحتاجها.

إنها غلطتها.. لقد حذرها داني وغرانت... وكذلك حذرها تفكيرها السليم... ولكنها وقعت في حبائل خداعه كالغبية، أطبق عليها فخ ضعفها أمام الرجل الذي يجب أن تكره.

وغطت وجهها بيديها.. أوه.. يا إله السماوات، كم دخلت الفخ بكل إرادتها، وكأنها نعجة تساق للذبح. ليس هو من جعلها

تعمى عن الحقيقة، بل هي أرادت لنفسها هذا، وتعاونت معه بصمت... وإيقا كذلك.. ولكن لا عجب في هذا بعد وضوح رغبتها هي في ذلك.

مشت فوق الصخور تلوم نفسها.. ماذا ستفعل؟ الطريقة الوحيدة هي على متن قارب، وما من أحد من الصيادين سيأخذها مهما عرضت عليه من ثمن. فروبرتو رجل له نفوذ، ومصالح كبيرة في إيطاليا... وستكون عاجزة عن القيام بأي عمل إذا ما استخدم هذا النفوذ.

وتذكرت أن هناك ممراً بين الصخور يفضي إلى الطريق العام ثم إلى الفيلا دون أن تضطر للعودة أدراجها من حيث أتت. وهكذا استدارت لتسير عبره فوق الصخور الخشنة غير المستوية تحت قدميها... هناك بضع سيارات في الجزيرة، ولكن أهل الجزيرة إما يسيرون أو يستخدمون الحمير الصغيرة الحجم التي تتسلق الوعر وكأنها الماعز.

صوت محرك أجفلها حتى إنها للحظات جمدت من الدهشة. ثم ركضت عبر الدغل المنخفض، تلوح، وتنظر إلى الطريق لترى غيمة كثيفة من الغبار لا بد أنه ناتج عن مرور سيارة.

كانت السيارة مسرعة، فزادت هي من سرعة ركضها، خائفة ألا يراها راكب السيارة. كانت تركز انتباهها بشدة، حتى إنها لم تشاهد الصخور البارزة أمامها إلا بعد فوات الأوان. واهتز جسدها كله وهي ترتمي على معدتها فوق هذه الصخور. وصرخت من قوة السقطة، ثم لاذت بالصمت على أثر الألم الذي صدمها واستلقت بين الشجيرات الصغيرة الشائكة، لا تحس بشيء سوى الألم في عظامها.

NOOR

ما هي إلا لحظات حتى شعرت بيدين ترفعانها عن الأرض، وتديران وجهها إلى فوق. ومرت يدان مرتبكتان بسرعة على جسدها، تبحثان عن إجابات محتملة. وفتحت عينيها، تتأوه من الألم، ليطل عليها وجه شاب أسمر يتوج رأسه شعر أشقر ملون بالغبار بعينيه الزرقاوين المتلألئتين المليئتين بالقلق.

ـ أنت بخير؟

كان يركع إلى جانبها يسند رأسه بيده بعد أن تفحصها باحثاً عن إصابات... ويتكلم الانكليزية. فأجابته غير واثقة:

ـ أجل... هل أنت إنكليزي؟

فابتسم:

ـ بل أميركي... وأنت كذلك.. ما هذه الصدفة!

ـ وماذا تفعل هنا؟

ـ ألتقط الصور.

وأحست فجأة أن يده الأخرى ترتاح على خصرها بطريقة حميمة جعلت الاحمرار يعلو خديها البيضاوين. وحاولت الجلوس، فدارت الدنيا حولها. فقال لها بصوت مفعم بالاهتمام.

ـ هاي.. لا يجب أن تتحركي.. سقطتك كانت قوية.

فلفت جيني ذراعيها حول ركبتيها وأراحت رأسها عليهما، تتنفس ببطء وعمق. وتركها هكذا لبضع لحظات، وعندما توقف الدوار. رفعت رأسها ببطء، فسألها مبتسماً:

ـ هل أنت افضل حالاً الآن؟

فهزت رأسها وردت تأدباً:

ـ شكراً لك.

ـ لقد ظننت نفسي أتخيل عندما خرجت نحوي راكضة.

ـ وهذا يجعل منا اثنان، فآخر شيء كنت أتوقع رؤيته هو سيارة.

فضحك:

ـ هذا يوضح ما حصل. فالسيارات نادرة هنا.. أليس كذلك؟ السيارة الوحيدة الأخرى هي لباستينو. ولكن، لا بد تعرفين هذا.. فاين يمكن أن تقيمي في هذا الجزء من الجزيرة سوى في ڤيلتهم؟ سمعت أنه هنا... لا بد أنك ممرضته.

فأجابت بسرعة ودون تفكير:

ـ ممرضة؟... لا!

ـ لا.. ولكنك تقيمين في الفيلا التي يملكها أليس كذلك؟ أوه.. أنا آسف لم أقصد أن أطرح اسئلة ذات مغزى.

وفهمت جيني ما يجول في ذهنه. نظرته السريعة إلى يدها اليسرى أوضحت أنه يفكر بوضعها، وأنه قرر أن روبرتو قد جاء بإحدى عشيقاته معه. وبدا عليها الغضب... فتراجع الرجل الى الوراء لرؤيته بريق اخضرار عينيها. ووقفت... فتحرك لمساعدتها بعد أن رآها تترنح.. وقال:

ـ سأوصلك إلى الفيلا... أهذا ما كنت ستطلبينه؟

ـ أجل... شكراً لك.

وسار إلى جانبها نحو السيارة وعيناه تحدقان بها باهتمام.. وقال لها بعد قليل:

ـ يجب أن نعرّف عن أنفسنا.. أنا توماس مارشال.

ـ وأنا جيني نيوهام.

ـ جيني... اسم غير مألوف.. ولكنه يناسبك.

فتح لها باب الروفر.. فصعدت إليه، ثم انضم إليها. أدار

NOOR

المحرك فانطلقت السيارة. سألته:

ـ ماذا تفعل على الجزيرة؟

ـ أنا عالم اجتماعيات.

ـ يا إلهي!

ـ ولماذا يجيب الناس هكذا على نوع عملي، ما الخطأ في دراسة الجنس البشري؟

ـ أهذا ما تفعله هنا... تدرس أهل الجزيرة؟

ـ أجول في الجزر أدرس حياة الناس الاجتماعية، فأنا احضر لأطروحة التخرج، التي تتناول مجتمعات الجزر.

ـ يبدو الامر مذهلا.

ـ هذا صحيح.

ـ وأين تقيم؟

ـ في الفيلا.

ـ ماذا؟ ولكنني لم اشاهدك هناك.

ـ آه.. هذا لأنني لم أكن موجوداً. لقد ذهبت الى الجبال لأزور ابن جوزيبي، الاندو. وبقيت هناك لبضعة أيام للتعرف على نمط حياته إنه شاب طيب، وقد اتفقت معه بشكل جيد.

ـ وهل يعلم روبرتو أنك تقيم في الفيلا؟

ـ لقد اتفقت معه منذ أشهر. في الواقع هذه السيارة له. وهل ظننت أنني سأستخدم بيته كفندق دون إذنه.

ـ آسفة... بالطبع لا. كل ما في الأمر أن أحداً لم يذكرك لي. ولم يكن لدي فكرة عن وجود غريب. وكم ستبقى هنا؟

ـ ليومين آخرين.

عندها فقط خطرت فكرة لها، فتنفست بحدة، فالتفت توماس مارشال متسائلاً، فبادرته بالسؤال:

ـ وكيف ستغادر؟

فضحك:

ـ بالمركب طبعاً. وسأذهب إلى محطتي التالية.. لقد رسمت خط رحلتي منذ سنة. ولا يزال أمامي رحلة طويلة.

ـ وهل سيأخذك أحد الصيادين؟

ـ بل صديق في الواقع. إنه يعمل في «سردينية» ويملك مركباً. وهو يحب الإبحار الى حد الجنون... سيأخذني من هنا ويوصلني إلى محطتي التالية، ثم يغيب بضعة أيام قبل أن يعود ويلتقطني ثانية.

ـ وهل هو أميركي؟

ـ تقريباً.

ـ وماذا يعني هذا؟

ـ لديه جواز سفر أميركي، ولكنه لم يذهب إلى هناك منذ سنوات طويلة. التقيته في اليونان منذ خمس سنوات ومنذ ذلك الوقت سكن في إفريقيا، ثم في الخليج العربي، وأخيراً في تركيا، قبل أن يستقر مؤخراً في سردينيا.

وتنفست جيني ببطء:

ـ وهل يمكن أن يأخذ معه راكباً؟

فاستدار توماس إليها وحاجباه يرتفعان:

ـ أنتِ؟

ـ أنا... أريد الهرب من الجزيرة.

ـ وهل يعرف باستينو؟

ـ لا تقل له أرجوك. لا يجب أن يعرف.. ولكن يجب أن أهرب من هنا.

يأسها كان واضحاً في صوتها، مما أوضح له الأمر. فصفّر:

NOOR

ـ أوه.. فهمت.. لقد سمعت عنه أنه ذئب كاسر... لماذا جئت معه وأنت تعرفين هذا عنه؟

ـ لا بد أنني فقدت عقلي. أتساعدني؟

كانت لهجتها شديدة الإقناع ولم يتردد:

ـ بالطبع، ويجب أن تسافري خفيفة، دون حقائب، فالمركب ليس كبيراً. كل ما يمكنك أخذه هو حقيبة صغيرة. وتعلمين أنك يجب أن تعملي للمساعدة.. أتجيدين الطبخ؟ فهذه مساعدة جيدة.

وأجابت بارتياح وحبور:

ـ أجيد الطبخ... شكراً لك. لن تستطيع تصور كم أنا شاكرة لك.

فضحك لها.

ـ هذا سيعلمك أن لا تسيري في أماكن خطرة... لا بد أن أمك علّمتك أن لا تتعاملي مع رجال من أمثال روبيرتو باستينو؟

ـ لم يكن لي أم.

فلانت عيناه، ونظر إليها بلطف:

ـ آسف... انسي ما قلته.

وصلا الفيلا، أوقف السيارة خارج الباب الرئيسي.. فنزلت متصلبة تنفض الغبار عن ثيابها. وانفتح الباب، وحدقت ماريا بهما، فابتسم لها توماس وقال:

ـ لقد عدت ثانية. الاندو يرسل لكما حبه... ولدي أربع قبلات لك من أحفادك.

فابتسمت ماريا ابتسامة خفيفة... ثم تحولت عيناها السوداوان الى جيني.

ـ أين كنت؟ لقد قلقنا عليك، لقد غبت ساعات.

وتحركت جيني داخل الباب وتوماس إلى جانبها:

ـ لقد سرت طويلاً على الشاطىء.

ـ من الخطر الابتعاد عن الفيلا سيدة باستينو.

كانت تستخدم الاسم متعمدة، وأحست جيني أن توماس أجفل. وسمعت صوت تنفسه العميق. وأعماها الغضب، فقالت ببرود لاذع محدقة الى ماريا بتحدٍّ.

ـ أنا لست السيدة باستينو.

وسمعت صوتاً بارداً من خلف ماريا يقول:

ـ ستعطين السيد مارشال فكرة خاطئة عنك جيني.

وخفق قلبها لرؤية روبرتو يقف هناك... وتابع بسخرية:

ـ أحببت هذا أم كرهته، فلدي صور زفافنا تثبته. أما الباقي فاعطني قليلاً من الوقت بعد.

احمرّ وجه توماس مارشال، وبدا عليه الغضب. ونظرت اليه جيني يائسة وهي تعرف تماماً ما يفكر به. قال وهو يفرك مؤخرة عنقه:

ـ عذراً.. فانا بحاجة لحمام وحلاقة ذقن.

صعد السلم، واختفت ماريا، فنظرت جيني إلى روبرتو بمرارة:

ـ يا إلهي كم أكرهك!

وبدت القسوة على وجهه:

ـ حقاً؟ حسناً.. لدي أخبار سارة لك يا حبيبتي... ما تشعرين به لي هو بسيط جداً بالنسبة لما أشعر به نحوك.

● ● ●

NOOR

٦ ـ لم يكن لها

فاجأها التصريح وحملقت به وفمها مفتوح، فابتسم لها ابتسامة باردة قاسية:

ـ لقد فاجأك هذا... أليس كذلك؟

أحست بردات فعل متضاربة من جراء ما سمعته، ألم، غضب، وحقد متأجج.

ـ أنت.. تكرهني؟ ولكنني لست أنا من...

فقاطعها رافعاً حاجبيه السوداوين بتحدٍ ساخر:

ـ ألم تكوني أنت... وهل مرّ وقت طويل، قبل أن تعطي كراولي ما كان يرغب به منك؟

اقترب منها، وفقدت الإحساس بمكان وجودهما... وقال لها بهمس كالفحيح:

ـ متى كان ذلك جيني؟ تلك الليلة؟ هل هربت من منزلي لترتمي بين أحضانه؟

العجرفة في عينيه الباردتين اخترقت تظاهرها بعدم الاكتراث. فابتعدت عنه كطفل خائف مرتعب.

ـ ليس لك الحق لتسأل، وأنا لن أجيب عن أي سؤال. لماذا كذبت على السيد مارشال؟ أنا لست زوجتك، وسأخبره بأمر الطلاق.

ـ أعرف انك ستفعلين.

ـ بكل تأكيد سأفعل.

وحاولت جذب ذراعيها من قبضته، إلا أن أصابعه اشتدت أكثر على لحمها.

ـ ولكنك لن تفعلي... لأنك لن ترينه ثانية. سأطرده من الجزيرة. الليلة!

ـ لن تستطيع هذا!

ولكنها تعرف أنه قادر.. سيأمر أي صياد بأخذه إلى أي مكان وسيفعل دون تردد. ولن يستطيع توماس أن يعترض على أوامره.

ـ ألن أستطيع؟ بل أستطيع فعل أكثر من هذا.. كلمة واحدة مني في المكان المناسب وسيطير من إيطاليا كلها، وستذهب دراسته إلى الجحيم. وسيجد نفسه غير مرغوب فيه أينما ذهب في هذه المنطقة، وسيكون على أول طائرة عائدة إلى أميركا قبل أن يعرف الى أين هو ذاهب.

تمتمت بكراهية وصوتها يرتجف:

ـ أيها الخنزير القذر.

وشد يده بقسوة على ذراعها ليمنعها من الابتعاد، محدقاً بوجهها الغاضب:

ـ قد أكون أكثر ميلاً للأذية... وتذكري هذا عندما تفكرين مرة أخرى باستخدام ذكاءك للهرب جيني!

فصاحت:

ـ لست أدري عمَّ تتكلم.

ـ أوه.. بلى.. تعرفين.. أنا لست غبياً... لحظة أن التقيت بمارشال شاهدت فيه سبيلاً لخلاصك.

NOOR

ـ لن تستطيع منعه من أخذي معه.

فضحك ضحكة قبيحة:

ـ حاولي... حاولي فقط. فسأخرجك من المركب في ثانيتين.

ـ لن تستطيع حجزي هنا رغماً عن إرادتي!

ـ إرادتك؟

ابتسم بسخرية قاسية، وامتدت أصابعه إلى حنجرتها، يضغط عليها، وبدأت نبضاتها تتسارع تحت أصابعه.

ـ سنرى كم هي قوية هذه الإرادة.. هل نفعل هذا جيني؟

ـ لا!

وشدها اليه، وغرزت أصابعه في عنقها من خلف لتجبر رأسها على الاقتراب منه، وأطبق عليها بقسوة، وضغط بقسوة عليها فأخذت تتلوى وتدفعه عنها، ولكنها كانت عاجزة أمام قوته.. ومع ذلك فقد فات أوان هذا.. فهناك شيء ما في داخلها قد حدث. كتلة جليدية عمرها خمس سنوات بدأت فجأة بالذوبان، ومشاعر طال نكرانها بدأت تنطلق من عقالها وأحس روبرتو بذوبانها، واستجاب عناقه لهذا الذوبان، وارتفعت ذراعاها حول عنقه، واندفعت أصابعها إلى شعره الكث الأسود. وتصلب جسدها كله ليلتصق به... وأخذت تتأوه. وانفرجت شفتاها، فتمتم روبرتو وهو يمرر يداه على ظهرها مداعباً:

ـ يا إلهي!

وقع خطوات فرقتهما، فقفزا معاً إلى الخلف. ونظر إليهما توماس مارشال بحرج...

ـ أوه.. كم أنا اسف. لست أدري ما...

استعاد روبرتو اتزانه... وابتسم:

ـ أوه سيد مارشال... تفضل معنا لتناول القهوة. لا بد أنك جئت طلباً للغداء. ماريا ستحضره قريباً.

ـ شكراً لك.

تأمل توماس بجيني مرتبكاً. فأشاحت بوجهها عنه وهي تعلم أنه يظنها كاذبة. وقالت:

ـ يجب أن أذهب لأبدل ملابسي.

فقال روبرتو بصوت ضاحك، ونبرات صوته توحي بأنه يتسلى:

ـ افعلي هذا يا حبيبتي!

ركضت إلى غرفتها، ووقفت تتأمل نفسها في المرآة، منتقدة نفسها، تشاهد بأسى ونفاذ صبر بشرتها المشتعلة بالحرارة وعينيها المحمرتين... ماذا يحاول روبرتو أن يفعل بها؟ لماذا جاء بها إلى هنا ليخدعها ويوقعها في الفخ، ويجعلها سجينته؟ لقد اكتشفت أنها لا زالت تذوب تحت وقع عناقه، وقبلاته.

ولكن عليها أن تجبر نفسها على تذكر أشياء أخرى، وأن روبرتو يستجيب لكل النساء هكذا، إنها مجرد استجابة جسدية لديه، ولن تتركه يستغلها ليرضي نفسه للحظات.

رفعت رأسها الأشقر بتصميم... ونزلت الى الطابق الأرضي، لتواجه نظرات روبرتو المعجب بها، ببرود دفعه الى الابتسام. ووضع فنجان القهوة من يده واستدار إلى توماس مارشال يقول بفخر:

ـ زوجتي فنانة... وهي موهوبة جداً.

ومرت عينا توماس فوقها، وسحبهما بسرعة:

ـ أوه.. حقاً؟ هل هي محترفة أم...؟

NOOR

فانزعجت جيني للسؤال:

ـ أنا محترفة بكل ما في الكلمة من معنى سيد مارشال.

وتمتم روبرتو:

ـ جيني تحب أن ننظر إلى فنها بجدية.. أليس كذلك جيني؟

فالتفتت تواجهه بنظرة باردة متحدية إياه أن يسخر:

ـ أجل.. هذا صحيح!

فقال توماس بشكل أخرق.. محاولاً الاسترضاء:

ـ وهل تدربت؟ أعني هل ذهبت إلى كلية الفنون؟

ـ أجل..

سارعت لإخباره بشوق عن مدى تدريبها، وفي عينيها كل الطموح الذي تشعر به.. وصاح توماس فجأة، محدقاً بها:

ـ يا إلهي! هل أنت... لقد قلت إن اسمك نيوهام... هل لك قرابة بدانييل نيوهام... مصمم الأزياء الشهير؟

ـ إنه والدي.

فردد الشاب:

ـ إنه... إنه فنان رائع.

ـ أجل، فوالدي مصمم رائع. وأنا فخورة به.

وتدخل روبرتو ليقول ببرود:

ـ ولكن زوجتي أفضل منه...

فردت نظرها اليه غير مصدقة. ولكنه لم يكن ينظر إليها بل إلى وجه توماس مارشال النحيل، وأكمل:

ـ ... تعال وانظر بنفسك.

وقاده تتبعهما جيني، إلى غرفة جلوس صغيرة تستخدمها إيڤا، وأمام ذهولها أشار له إلى رسم بالأسود والأبيض، لوجه طفل...

إنه أندرو... الرسم الذي أخذته إيڤا منها يوم كانت في شقتها.. لماذا؟ لماذا يعلق الصورة هنا؟ أمن أجل ولده أم من أجلها؟

وأدار روبرتو رأسه إليها.

ـ أمر مثير للاهتمام... أليس كذلك؟

ربما يكون كلامه موجه إلى توماس، ولكنه في الواقع كان يتحدث إليها... واستدار توماس مارشال وابتسم لها والإعجاب بادٍ في عينيه.

ـ زوجك على حق... أنت فنانة جيدة... وإذا كنت فخورة بأبيك، فلا شك أنه فخور بك أكثر.

أطلت ماريا فجأة من الباب معلنة:

ـ الغداء جاهز.

وأضافت بالإيطالية أنه سيفسد إذا لم يتناولوه على الفور، ثم أضافت بلهجة لاذعة انه مجنون لخروجه من سريره، فهو ليس قوياً كفاية. فرد عليها روبرتو بفظاظة بالإنكليزية: اخرسي! ولكن عيناه كانتا تضحكان لها، متقبلاً أنها قلقة عليه... فقالت جيني:

ـ أظن أن عليك تناول عشاءك في الفراش. أعتقد أن الممرضة هي من سمح لك بالخروج.

ـ سمحت لي؟ لن تستطيع تلك المرأة أن تملي إرادتها عليّ. المرأة الوحيدة، التي تستطيع إجباري على الصعود إلى الفراش هي أنت حبيبتي.

فاحترق وجهها خجلاً.. وغضبت منه، وهي تدرك أن هناك اكثر من زوج من الآذان تستمع وأن ماريا تبتسم، وأن توماس بدأ وجهه يحمرّ.

فقالت تستخدم مزاحه ضده:

NOOR

- إذن سأقول لك الكلمة الآن.. اذهب إلى فراشك روبرتو.. ما كان يجب أن تخرج منه أصلاً.

فرفع حاجبيه مبتسماً:

- لوحدي؟

فاستدارت غاضبة، محرجة، واتجهت نحو الباب دون كلمة. غير قادرة على التفوه بشيء قد يحدث انفجاراً أمام ماريا وتوماس... كيف يجرؤ على هذا الكلام.. كيف يجرؤ؟

مرت ساعة الغداء ببطء.. وأحست بالأسى على توماس. وتعمدت دفعه للكلام عن عمله.. فاندفع بلهفة للشرح... ولم يحدث خلال هذه الساعة أي تصادم بينها وبين روبرتو.

وبدأ الشحوب يظهر جلياً على روبرتو، وهم يقفون بعد الوجبة فقالت له بجدية:

- يجب عليك حقاً أن تذهب إلى الفراش. تبدو مريضاً جداً روبرتو.

لا بد أنه كان يشعر فعلاً بالضعف فقد هز كتفيه واعتذر ثم تحرك نحو السلم، قائلاً بحدة:

- تعالي معي جيني. أود الاستناد إلى ذراعك وأنا أصعد السلم.

وصاحت به بعد أن وصلا إلى غرفته وانهار فوق سريره:

- لماذا تركت فراشك بحق الشيطان؟

فقالت الممرضة ببؤس:

- لقد قلت له هذا.

واستلقى على الوسادة ويده تفك ربطة عنقه، جفناه نصف مغمضين، يحدق بها بابتسامة ساخرة:

- لم تأتي إليّ فجئت إليك.

- حسناً ستبقى الآن في الفراش لما تبقى من الوقت.

فقالت الممرضة:

- بالطبع يجب أن تبقى. وإذا رفضت نصيحتي سيد باستينو، فلا فائدة من بقائي هنا. كنت مريضاً جداً والراحة ضرورية لك.

- لا تفتعلي ضجة يا امرأة.

تركته جيني بين يدي الممرضة لتحضره للنوم، فسألها:

- أين أنت ذاهبة؟

فوقفت عند الباب:

- أظن أنني سأنام قليلاً... فتلك النزهة صباحاً أتعبتني.

فقالت الممرضة:

- هذا هو التعقل بعينه.

فأردف روبرتو ساخراً:

- وهل بدأت تضعفين يا جيني؟ مشوار صغير وأحسست بالإرهاق؟

فردت بخشونة:

- هذا صحيح.

وتسللت من الغرفة لتسمعه يضحك وهي تقفل الباب. في الواقع كانت مرهقة أكثر مما تصورت، فما أن أسدلت الستائر، واستلقت في الفراش حتى غطت في نوم عميق.

عندما استيقظت كانت الغرفة غارقة في ظلام حالك. لا يوفره سوى الريف حيث لا أضواء صناعية فيه.. ناعسة، تحس بوجهها الحار وشعرها المشعث، نهضت من الفراش، وأضاءت المصباح قرب سريرها. فشعشعت غرفتها بأنوار ناعمة.

NOOR

نظرت الى ساعتها، وأدركت بذهول أنها نامت خمس ساعات. ولقد فات وقت العشاء... أحست بالجوع لدى تذكرها الطعام. فسرحت شعرها بسرعة، وتركته منسدلاً حول وجهها، ورشت على بشرتها قليلاً من الماء، وصبغت شفتيها بقليل من أحمر الشفاه الزهري.

توقفت لحظة عند باب غرفة روبرتو، متسائلة ما إذا كان قد نام أم لا.. وأكملت المسير، لتفاجأ به يفتح باب غرفته ويقف في بيجامته الحريرية السوداء فوقها الروب الأسود. وسألها ممازحاً:

ـ استيقظت اخيراً؟ اعتقدت أنك لن تستيقظي.

ـ كنت تعبة.

ـ كنت تبدين كطفلة صغيرة متكورة على جانبها.

خفق قلبها كالرعد وقد عرفت أنه دخل غرفتها... وأغضبها هذا، حتى احمرت وجنتاها، ولمعت عيناها الخضراوان وقالت:

ـ ابتعد عن غرفتي روبرتو!

واختفى عن وجهه تعبير المزاح، وتحولت عيناه إلى البرود... فأمسك بذراعها وجذبها إلى غرفته فصرخت وهي تقاومه:

ـ اتركني!

فتجاهلها:

ـ لقد تركت لك ماريا بعض الطعام هنا.

ـ سآكل في غرفة الطعام.

ـ ستأكلين حيث أقرر أنا.

ـ اللعنة عليك، توقف عن دفعي هكذا!!

أقفل الباب بقدمه، وتركها مستنداً إلى الباب:

ـ اجلسي وتناولي عشاءك.

أعلنت معدتها الإنذار بأنها جائعة، فرفعت الغطاء الأبيض عن الصينية.. رائحة الطعام لا تقاوم، مع أنه بارد. فجلست وبدأت تأكل. واستدار روبرتو إلى فجوة في جدار غرفته وأدار الكهرباء على إبريق القهوة... وما هي إلا دقائق حتى تصاعدت الرائحة الذكية لتملأ الغرفة. وصب لنفسه ولها فنجانين من القهوة التركية الثقيلة الخالية من السكر. فقالت له:

ـ إنها قوية عليك.

فرد عليها بتقطيبة.

ـ أنا كبير بما يكفي لأقرر ما هو صالح لي وما هو غير صالح.

لقد كان دائماً مدمناً على هذا النوع من القهوة الثقيلة. يحتسي كوباً وراء كوب منها... فقالت:

ـ إنها مضرة لأعصابك!

ـ الإحباط هو السيء للأعصاب.

ـ لن أصغي إلى ترهات كهذه.. كيف تجرؤ على الحديث معي بهذه اللهجة، خاصة بعدما فعلت معي؟

ـ وماذا فعلت؟

ـ تعرف جيداً ما أعني!

وبدا على وجهه براءة الملائكة:

ـ أخبريني...

كادت تقذفه بالقهوة الساخنة، وأخذت يداها ترتجفان راغبة في صفع ذلك الوجه البارد وقالت ساخرة:

ـ لا تتظاهر بأنك فقدت الذاكرة ثانية.

فضحك:

NOOR

- ذاكرتي كاملة... وكيف حال ذاكرتك؟

- أوه... كل التفاصيل تظهر فيها كنور الشمس... أتعتقد أنني نسيت مقدار ذرة مما رأيته بعيني؟

ورد بخشونة:

- لا... لا اعتقد أنك نسيتِ.

الاعتراف آلمها بوحشية وكأنه سيف يغرز في قلبها... لم يكونا قد تحدثا عن الأمر من قبل. فهي لم تشاهده منذ مغادرتها لغرفة نومها بعد أن شاهدت جيسكا بين ذراعيه، ونظرت إليه بكراهية:

- وكيف يمكن لك أن تواجه الأمر بكل هذا البرود؟ أكنت تتوقع أن أتجاهل ما فعلت؟ لو كنت أنت من دخل وشاهدني بين ذراعي رجل آخر... هل كنت ستقول «آه... أنا آسف» وتعود للخروج؟

ونطقت شعلة النار في عينيه قبل أن يتكلم.

- ألأنني لم أشاهدك مع كراولي، هل تظنين أن هذا أسهل علي؟

- ولكنني لم...

ولم يفته معنى كلامها، فسأل بحدة:

- ألم تفعلي؟ كل هذه السنوات وأنت معه طوال الوقت، وتتوقعين أن أصدق أنكما بريئان.

- علاقتي معه ليست من شأنك... وعلى كل الأحوال أنا سأتزوجه. أتذكر هذا كما أرجو؟ نحن مخطوبان.

ارتدت شفتاه عن أسنانه مكشراً تكشيرة الغضب:

- أوه.. بل أذكر... فهذا ما كان يشغل بالي وأنا أقود

السيارة.

- عندما حصل الحادث؟

- أجل عندما حصل الحادث.

فقالت له ساخرة:

- لسوء الحظ أنك لمرة واحدة لم يكن تركيزك الرائع يعمل.

علمت انها تمادت، وهي تلاحظ الشرر يتطاير من عينيه.. وقفت بسرعة ولكن متأخرة، فقد قبض عليها روبرتو بعنف، وعندما أطبق بفمه عليها أحست بأنها كانت تنتظر منه هذا منذ دخلت غرفته، لقد تجاوزت مرحلة الادعاء... أرادت أن تحس بجسده القاسي يجبرها على الالتصاق به. حتى إنها لم تقاومه وهو يفعل، وتعانقا بجوع، والحرارة تكاد تشعل جسديهما. وأدركت كم تتلهف لأن تكون له ثانية. وسمعته يهمس في اذنها:

- قولي لي.. الحقيقة... هل أنت وكراولي..؟ هل كنتما...؟

السؤال شتت مزاجها وكأنها تلقت صفعة.. وعاد إليها وعيها، فكرهت نفسها على الجنون الذي استولى على جسدها وجعلها تنسى ما فعله روبرتو بها، وما سيفعل بكل سهولة مستقبلاً. فشهقت، تقاوم لتحرر نفسها:

- اتركني...!

- أجيبي أولاً!

فنظرت بمرارة الى عينيه وصاحت:

- أجل... أجل!

وضربها، وكادت الصفعة تطيح برأسها عن رقبتها، فحدقت به مصدومة وفي اذنيها طنين حاد.

- أيها الخنزير!

NOOR

فضربها ثانية، وقفزت الدموع من عينيها، وأخذت ترتجف، وذعرت فجأة، فقد ظهر في عينيه غيرة متوحشة، وأصبح غريباً تماماً عنها... بربري بدائي، عدواني قد يفعل أي شيء.

وقفت تنظر إليه بذعر، وكأنها حيوان خائف. كان ينظر اليها وهو يتنفس بقوة وكأنه يفكر بما سيفعل تالياً، أو كأنه يكافح كي يستعيد السيطرة على أعصابه. إنه يحاول السيطرة على مشاعره التي تجعل دمه يغلي.. ثم قال بأنفاس متقطعة:

ـ لم أكن أنوي أن أراك ثانية.

ـ وأنا تمنيت من الله أن لا أراك.

فتنهد بخشونة.. ثم قال بعد صمت:

ـ صحيح.. لقد آلمنا بعضنا بعمق حتى أننا لن نستطيع أن نغفر لبعضنا.

وغلى دمها لكلامه:

ـ آلمنا بعضنا؟ ماذا فعلت أنا لك؟ لقد ارتكبت الخيانة الزوجية، ولست أنا من ارتكبها روبرتو!

ـ لقد اعترفت لتوك أنك هربت من منزلي إلى ذراعي كراولي.

ـ لقد ذهبت إلى منزل والدي.. وغرانت لم يكن هناك.

ـ ولكنك رأيته تلك الليلة؟

ـ لا!

ـ لا تكذبي عليّ. أعرف أنك فعلت هذا جيني. كنت في فراشه تلك الليلة.

وصاحت بغضب.

ـ لا!

ـ أيتها الكاذبة اللعينة! لقد اعترف هو بهذا.

واجتاحتها موجات من الصدمة:

ـ عمّ تتحدث؟ متى قال لك غرانت...؟

ودفعها عنه ثم سار الى الطرف الآخر من الغرفة:

ـ لقد جئت إلى منزل أبيك في اليوم التالي. حينها أخبرني!

وأحست ببرودة الثلج... وتذكرت العراك الذي سمعته، وصوت غرانت الغاضب المرتفع، ولهجة روبرتو الخشنة المتسائلة، لقد كذب عليه غرانت.. ولكن لماذا؟ أم إن عليها أن تكون شاكرة لهذه الكذبة؟ إنها تدرك الآن أن غرانت كان يحاول إنقاذ كبريائها، ويرد الصاع صاعين لروبرتو، بعد معرفته بأنها وجدت جيسكا في فراشها.

وتنهدت... تنهيدتها دفعت روبرتو للتحديق بها، ثم قال:

ـ كان يجب أن أستدعي كراولي للشهادة في محكمة طلاقنا... ولكن هذا كان سيعطي الصحف مادة فضائح إضافية للنشر.

ـ لقد كان لديهم ما يكفي لنشره عندما تزوجت جيسكا، خاصة أنها كانت على وشك أن تلد لك ابناً.

التوى فمه وعاد إليها متوتراً:

ـ لم يقل لي كراولي متى... فهل ذهبت إليه مباشرة بعد أن شاهدتني...

عرفت بالطبع ما يعني، وسمعت لهجته المكبوتة فقالت ببرود:

ـ لست أنوي مناقشة الأمر معك.

فأمسكها بكتفيها وهزها:

ـ أوه.. بحق الله! الأمر مهم لي، ألا تفهمين، يجب أن أعرف؟

فنظرت إليه ببرود وازدراء.

ـ غرورك بنفسك بحاجة ليعرف أنني ذهبت إلى غرانت لأنني

NOOR

وجدتك غير مخلص لي.. أليس كذلك؟

ـ أيتها العاهرة!

وردت وهي تكافح لتظهر البرود:

ـ على الأقل.. لم أحمل بطفل لأثبت لك هذا.

فهمس بألم:

ـ أوه.. يا إلهي.. يا إلهي.. أكاد أقتلك!

ورفعت حاجبيها ببرود وتعالٍ:

ـ تكاد تقتلني؟ لطالما نظرت إلى كل شيء من زاويتك أنت... ولكنني لم أكن لأتصور أنك أعمى لدرجة أن تلومني أنا على فعلتك.

ودفعته في صدره وقالت ببرود وأدب:

ـ هل لي أن أنصرف الآن؟ أرجوك؟ فهذا النقاش يضجرني.

فابتسم، وكانت الابتسامة سلاحاً بحد ذاتها. فقد اغضبتها وأرسلت قشعريرة رعب في أوصالها، لتذكر على الفور أنها تحت رحمته، ولا يوجد من تطلب العون منه.

وقال بنعومة، نعومة زائدة:

ـ لا.. حبيبتي.. لم أنتهِ منك بعد.

فهمست بصوت خافت مذعور، وقد تخلت عن كل كبريائها:

ـ لو لمستني فسأكرهك أكثر.

ضحك، وبدت الرغبة واضحة في نظراته. لم ينظر إليها من قبل هكذا.. صحيح أنه كان ينظر إليها دائماً برغبة، ولكن ممزوجة بالحب... أما الآن، فلم يكن هناك شيء دافىء أو ناعم في تعبير وجهه.. لم تشاهد مثل هذا التعبير على وجه رجل من قبل. ولكنها أصبحت تعرفه الآن... إنه الشهوة. إنها كلمة قبيحة لشعور أقبح. ولكن هذا ما شاهدته في وجهه.. في عينيه بريق شيطاني،

غير إنساني، وفتحتا أنفه ابيضتا. فهمست:

ـ لا تفعل هذا! أرجوك!

وراقبت يداه تتحركان ببطء، ولم تتمكن من الحراك، فقلبها كان يضج في حنجرتها، وتسمرت في مكانها. وسمعته يقول:

ـ كان أمامك خمس سنوات لتتعلمي فيها كيف تسعدين الرجل. أريد أن أعرف كم علمك كراولي في هذا المجال.

وأفلتت من الرعب الذي جمدها.. وصاحت به.

ـ أفضّل أن أموت.

ـ بإمكانك الموت بعد أن أنتهي منك.

وأجبرها على الاستلقاء فوق السرير، ودفع ذراعيها فوق رأسها حتى أصبحت عاجزة، مثبتة بفعل جسده. وأخذ يراقبها وهي هكذا وكأنه يتمتع بإذلالها مراقباً محاولات خلاصها.

وواجهت عقم مقاومتها فصاحت به من بين أسنانها:

ـ أوه... كم أكرهك!

ـ عظيم.. هذا يجعل الأمر ألذّ بالنسبة لي.

وأطلق أحد ذراعيها، وأمسك بالبلوزة الحريرية، وتعالى صوت تمزيق الحرير الرفيع وقالت بطفولية:

ـ لقد أفسدت فستاني.

فضحك وهمس:

ـ سأشتري لك آخر... يا حبيبتي.

وقاومت المشاعر التي بدأت تظهر كما قاومت تماماً يديه، حتى لم تعد تستطيع الادعاء بأن هذا لا يحصل لها، أو انها تحلم كما كانت تحلم من قبل.

وأخذ يتنفس بصعوبة، وغطست جيني داخل أمواج الرغبة التي

NOOR

تدفقت من بحر ذكرياتها. . ومنذ تلك اللحظة توقفت عن المقاومة غير المتساوية.

واعترفت لنفسها أنها لم تعد تهتم حتى. فقد ذابت بنعومة بين يديه، مع علمها الوثيق أنها تركب موجة قد تدمرها. ولكنها كذلك تعرف، أنها عادت بعد خمس سنوات إلى روبرتو روحاً وجسداً.

● ● ●

٧ ـ لحظة اعتراف

استفاقت في اليوم التالي منهكة، رأسها يؤلمها، ووجهها شاحب. نظرت إلى الساعة الذهبية الدقيقة التي وضعتها على طاولة قرب سريرها، فوجدت أن الساعة قد أصبحت العاشرة، وعلى مضض نهضت واغتسلت، وارتدت فستاناً من الحرير الأبيض الرائع التفصيل. ومشطت شعرها، ولفته حول رأسها وثبتته بأصابع مرتجفة.

عندما نزلت الى أسفل، نظرت إليها ماريا وسألتها بصوت عميق:

ـ قهوة وكرواسان؟

ـ شكراً لك.

عندما أحضرت لها طعام الفطور، جلست إلى الطاولة وصبت لنفسها فنجان قهوة دون سكر علّ قوتها وسخونتها تعيد إليها شيئاً من قوتها. ولم تستطع لمس الطعام. فقالت ماريا:

ـ روبرتو لم يأكل شيئاً كذلك!

احمرّ وجه جيني. وارتعش جفناها. . وأكملت ماريا:

ـ إنه في فراشه. . لقد تعب البارحة.

انفجرت جيني بضحك هيستيري، لم تستطع السيطرة عليه،

NOOR

وعلمت أن ماريا تحدق فيها بفضول.. واستجمعت ما استطاعت من قوة لتسيطر على نفسها... وأحنت رأسها على فنجان القهوة.

ودخل توماس مارشال بعد دقائق وحياها بأدب:

ـ صباح الخير سيدة باستينو.

ـ صباح الخير.

وقال لها بلهجة غريبة:

ـ أنا مسافر اليوم.

وأحست أن روبرتو قد دبر أمر رحيله.

ـ حسنا.. سعيدة بلقائك. أتمنى لك رحلة موفقة.

ونظر إليها:

ـ البحر هادىء تماماً اليوم.

ـ وهل سيأتي صديقك أم ستستقل قارب صيد؟

ـ لقد اتصل زوجك بصديقي.

ـ أتمنى أن تكون قد أنجزت دراستك. وأتمنى لك التوفيق فيها.

ـ شكراً لك سيدتي.

واستدارت عنه لتخرج من المنزل...

سارت فوق صخور الشاطىء، تراقب لمعان البحر الفضي تحت شمس الشتاء الباهتة، الأمواج كانت هادئة ساكنة. بينما كان الأفق متشحاً بالزرقة الموشحة بالغمام الأبيض هنا وهناك.

عندما عادت إلى المنزل، وجلست تتناول الغداء لوحدها قالت ماريا:

ـ لقد ذهب!

علمت أنها تقصد توماس، وتذوقت قطعة من لحم الحمل

الذي طبخته ماريا بالأعشاب البرية وابتسمت لها:

ـ أنت طباخة ماهرة.

وبدا السرور على ماريا.

ـ على الاقل أنت تأكلين الآن.

ـ وهل أكل روبرتو؟

فأجابت ماريا بابتسامة:

ـ اجل لقد أكل. لقد نام طوال الصباح. لقد كان متعباً.. يا للمسكين!

ـ أراهن أنه كان تعباً.

أحست بالغضب لما قالته بعد أن انفجرت ماريا بالضحك وخرجت. وبطريقة ما جعلها هذا أكثر غضباً.. وبدر في ذهنها أن روبرتو ما أجبرها على هذا إلا ليرضي غروره. إن له قوانينه التي تنطبق على الرجال وليس على النساء. لا يشعر بأي خجل لأنه نام مع جيسكا، بينما يسمح لنفسه بأن يغار ويغضب لأنه يظن أنها عاشرت غرانت.

وأحست بنفسها تتلوى من الداخل، كما تتلوى الأفعى. لقد خانتها مشاعرها وتجاوبت معه... وأحست بهذا الآن. شعرت وكأنها تستحم بطوفان جليدي كلما تذكرت ما حصل.

هل من الممكن ان تحب وتكره، تحتقر وترغب في آن واحد؟

أغمضت عينيها، وتناهى لها عن بُعد هدير الأمواج وكأنها تقهقه بسخرية.. يا إلهي كم تكره نفسها! لقد كانت سهلة المنال أمامه.. كانت تتظاهر بأنها تقاوم.. ولكنها بعد دقائق استسلمت.

ونزل روبرتو للعشاء. لم تكن تتوقع رؤيته، وأحست بالألم يعتصر قلبها لرؤيته. فارتجفت وشحب وجهها... ولم تستطع أن

NOOR

تتكلم بل رفعت رأسها أمامها متحدية.. وابتسامة صغيرة ملتوية تطفو على شفتيها.

ـ لا شيء تقولينه؟ هذا تغيير ملحوظ!

وتكلمت عندها.. الكلمات تنطلق بغضب:

ـ وماذا تتوقع أن أقول؟ أنت تعرف تماماً ما أشعر به نحوك. فمنظرك لوحده يثير فيّ الغثيان!

وضاقت عيناه:

ـ ولكن هذا لم يكن الانطباع الذي لاحظته ليلة أمس.

ـ قد تكون هذه أخبار جديدة عليك... ولكن للنساء رغبة كذلك. حتى مع الرجال الذين يكرهونهم.

ـ يجب أن اخنقك لهذا الكلام!

ـ لماذا؟ ألا تحب سماع الحقيقة؟ أما كانت تلك التجربة لكلينا إذن؟ كنت ترغب بي، وأنا كذلك.

وتراجع، وأحست بتراجعه من طريقة فرضه لقناع هادىء فوق وجهه الغاضب. بعد دقائق بدت أبدية قال:

ـ أوه.. صحيح جيني.. لقد رغبت بك.

ـ لا تناديني بهذا!

وكانت لهجتها مقرفة.. فكرر وهو يعلم أنه يؤلمها:

ـ حبيبتي!

فهمست بنفس لهجته:

ـ أكرهك!

ـ كيف تشعرين وأنت تحترقين رغبة مع من تكرهينه؟

أحست به يقف إلى جانبها، وتكهرب جو الغرفة كله، أسندت رأسها على ظهر الصوفا تحاول تهدئة نفسها، وقالت عبر أسنانها:

ـ لقد مر علي الوقت كالجحيم.. ولكنه انتهى أخيراً.

فضحك ساخراً، وبدت أسنانه من بين شفتيه:

ـ كالجحيم.. وهل تظنين نفسك ستتمكنين من الخلاص من الجحيم؟ قولي هذا بعد شهر وقد أصدقك.

أحست بالشتات والضياع فصاحت:

ـ شهر.. لا.. لا يمكنك هذا! لأجل الله روبرتو!

ـ أتظنين أنني سأتركك تذهبين بعد ليلة أمس؟

ـ ألم تكفك..؟ ستدمرني هكذا.. دعني أذهب!

ـ لن يريدك كراولي بعد الآن.. مرة أو مئات المرات ما الفرق؟ حقيقة أنني حصلت عليك ستبقى شوكة في حلقه.

فاحمر وجهها غضباً:

ـ أهذا هو السبب؟

وانحنى فوقها ليرفع رأسها بأصابعه:

ـ تعرفين تماماً أن لا!

ـ أنت لا تطاق.. أرجوك دعني أذهب.. لا أستطيع تحمل هذا!

ـ لقد جئت إلى هنا بمحض إرادتك.

ـ لقد أوقعت بي.

ـ يا عزيزتي، الفخ كان واضحاً، وكنت تعرفينه. وسرت الى داخله بإرادتك.. لم أجبرك على المجيء.. كيف يمكن أن أفعل هذا؟

ـ لقد صدقت أنك فاقد الذاكرة، وأنك مريض.

ـ اكذبي على نفسك، وليس عليّ. لقد جئت لنفس الغرض الذي أردتك أن تأتي من أجله. لم ينته الأمر بيننا جيني... ولن

NOOR

ينتهي. إنه ما زال يلتهمك من الداخل.. أليس كذلك؟

عندما كانا يتناولان القهوة بعد العشاء الذي أعلنت عنه ماريا، أخذت تفكر بالمستقبل. ووضعت فنجانها من يدها ووقفت... فأمسك بها:

ـ أين تظنين نفسك ذاهبة؟

ـ إلى الفراش... فأنا متعبة.

فتركها وقال بخشونة:

ـ تصبحين على خير إذن.

لم تستطع التصديق، وسارعت للابتعاد. وفي غرفتها وقفت تصغي لعله يتبعها. ولكنها لم تسمع سوى الصمت. وخلعت ملابسها ودخلت السرير... وبصمت استلقت وكأنها تتوقع شيئاً، فهي تعلم أنه لو جاء، فسيأخذ ما يريد، فليس لديها قوة الإرادة أو الطاقة لمقاومته.

عندما استيقظت صباحاً كانت الشمس تملأ الغرفة، وعندما خرجت من غرفتها كانت الممرضة تقف في الممر خارج غرفة روبرتو... فنظرت إليها قائلة:

ـ ألن تزوري زوجك اليوم... لقد استفقدك بالأمس.

حسدتها جيني على سذاجتها في رؤية الأشياء دون فهمها وقالت بأدب:

ـ بالطبع سأراه.. بعد تناول الفطور.

أثناء تناولها للقهوة، قالت لها ماريا فجأة:

ـ ستجهدين نفسك في مقاومته. روبرتو لم يقرّ بالهزيمة في حياته كلها.

وردت بأدب ولكن بحزم وغضب:

ـ لن أناقش أمر زواجي معك ماريا.

وازداد غضبها عندما ضحكت ماريا.

ـ لقد كان هكذا منذ صغره.. عنيد، متملك، وأي شيء يمتلكه يصبح من المحرمات.

ـ ولكنه لا يمتلكني!

ـ صحيح؟

فوقفت جيني لتقلب الكرسي بعنف إلى الوراء:

ـ لا يا ماريا! فانا أملك نفسي!

ولكن هل هذا صحيح؟ سألت نفسها وهي تصعد لرؤيته.. كيف تدعي ملكيتها لنفسها وهو قادر على امتلاكها متى شاء؟ وهو يعرف هذا تماماً كما تعرفه هي!

كانت الممرضة ترتب الأدوية فوق الرف قرب السرير، فابتسمت لجيني مرحبة:

ـ أرأيت سيد باستينو، قلت لك إنها قادمة!

وقفت جيني عند النافذة وقالت:

ـ وأنا هنا، يمكنك رؤية ابنك.. ألم تحنّ إليه؟

ـ بلى.. شاهدته في المستشفى. أخبرتني أمي بهذا.. ما رأيك به؟

ـ إنه يشبهك.

فضحك:

ـ وهل هذا إطراء أم إهانة للصبي المسكين؟

ـ لا شيء.. إنه تقرير لواقع محدد.

ـ وهل تكرهينه لأنه ابن جيسكا؟

فشهقت للسؤال.. ثم قالت بخشونة:

NOOR

ـ لا يمكن أن أكره طفلاً لأي سبب كان.

ـ ولكنك تفضلين أن لا تتذكري وجوده؟

ـ وهل ستحب رؤيتي مع طفل غرانت؟

فرد بحدة:

ـ لا!

نظرت إليه متفحصة.. هل هي الرغبة فقط التي يحس بها أم إن خلفها شيء آخر؟ وهل سيحس بالمرارة إذا عرف أن ما بينهما لا يحتوي الحب بل الرغبة فقط؟ وسمعته يقول وكأنه يكلم نفسه:

ـ أندرو سعيد على ما هو عليه.

وسارت نحو الباب فسألها كالعادة:

ـ إلى أين أنت ذاهبة؟

فردت بحدة:

ـ إلى أي مكان غير هنا. فأنا أجد صحبتك لا تحتمل!

وأغلقت الباب كي لا تسمع ما سيقول، وهربت إلى الخارج، إلى الهواء النقي البارد.. عندما تعود إلى منزلها ستحبس نفسها لتعمل وتنسى كل شيء... ومع ذلك فسيكون كل عملها مصبوغ بمرارة هذا الشهر الذي ستمضيه هنا.

لم ينزل روبرتو للعشاء. فتناولت الطعام لوحدها، وحافظت ماريا على جو ودود معها وهي تخدمها.

تلك الليلة لم تستطع النوم إطلاقاً. استلقت صاحية تماماً في فراشها تصغي إلى همهمة البحر البعيدة.. تتأمل برغبتها التي تركتها بيضاء شاحبة ومنهكة القوى في الصباح. وتفحص روبرتو وجهها ملياً عند الفطور، وعلمت أنه قرأ تلك العلامات بالأبيض والأسود على وجهها.

وخرج معها في نزهة قصيرة في الحديقة، يقف من وقت إلى وقت ليحدق بالبحر. الهواء بارد وفي السماء غمام خفيف تختبىء الشمس خلفه.

وقت العشاء، لامست يده يدها وهو يناولها قطعة خبز، وأحست بالقشعريرة. ولم تستطع كبح ارتجافها... وتمتم:

ـ الأمر يزداد صعوبة... إنه هكذا دائماً.

ـ عمّ تتحدث؟

ـ عن الإدمان.. مهما قاومت بقوة، إذا كان يجري في دمك فستحتاجين جيني اليه.. وكلما ازدادت مقاومتك له كلما زاد جوعك إليه.

ـ لن أدع هذا يحدث مرة أخرى.

وتركته لتذهب إلى غرفتها.

مضت ساعات على الصمت المطبق الذي يغلف المنزل. ولكنها تعلم أن روبرتو صاحٍ، فذبذبات مشاعره كانت تصلها من غرفته عبر الجدران، لتبقيها صاحية، تحارب نفسها وتحارب نداءه.

عندما فتحت باب غرفته كان ضوء المصباح الأصفر يكوّن دائرة صفراء حيث يستلقي.. رأسه الأسود فوق الوسادة، وعيناه تضيقان فوقها وهي تدخل.

وببطء ارتفع رأسه، وضاقت عيناه فيها، لتبدي إعجابها بثوب النوم الحريري بلون القهوة الذي ترتديه، والروب المماثل بأطرافه الحريرية المطرزة القاتمة.

حرك يده، ليعم الظلام الغرفة... وتقدمت نحوه في

NOOR

الظلام.. وأطبقت يداه عليها بقسوة وكأنه يعاقبها على تأخرها في مقاومته، فحبها له ورغبتها فيه لم يموتا بعد، وهذا ما عليها أن تعترف به... لقد فقدت كل كرامتها، ولم تعد تهتم لشيء وهي تهتف له: أحبك.. أحبك!

وعادت إلى غرفتها في الضوء الشاحب للصباح، كارهة أن تتركه نائماً، وتبتعد عن دفء ذراعيه. وأخلدت للنوم فقط بعد أن أفرغت رأسها وقلبها من الدموع.

دهشت عندما شاهدته وقد نزل إلى غرفة الطعام لتناول الفطور.. ونظرت ماريا إليه بابتسامة دافئة راضية، وقالت:

ـ هكذا يجب أن تبدو! أنا أشاهد روبرتو الذي أعرفه!

نظرة واحدة أفهمت جيني ما تعنيه ماريا. فقد ذهب اللون الشاحب عن وجهه، عيناه عادتا الى الحياة، مليئتان بالصحة، جسده يتحرك برشاقته القديمة، مزاجه كله مزاج رجل استعاد قوته.

تركتهما ماريا، وجلس روبرتو على كرسيه عند الطاولة... نظر إليها وتنهد:

ـ هل ستبقين مكتئبة طوال النهار.. ألم نتخلص من الأرواح الشريرة ليلة أمس؟

ـ صحيح؟

لم تنظر إليه.. هل يظن أن بإمكانه طرد ذكرى جيسكا بمجرد أن تقضي ساعتين معه؟ وقال لها:

ـ لا بد أن ما ذرفته من دموع كان له معانٍ؟

فاستدارت إليه غاضبة:

ـ ألا تعلم ماذا تعني؟ إنها تعني أنني كنت خجلة من نفسي.

عاد وجهه إلى القساوة وضاقت عيناه:

ـ أتخجلين من الاعتراف بأنك تحبينني؟

أصابها كلامه بلكمة في معدتها، فأجفلت من الصدمة، وراقبتها عيناه فتأوهت وغطت وجهها بيديها:

ـ أوه يا إلهي! كم أنت وغد!

ـ ألهذا السبب لم تستطيعي أن تتزوجي بكراولي؟

وصب لنفسه القهوة وأخذ يحتسيها، وكأنما ردها لا أهمية له. وردت بمرارة:

ـ زواج واحد كان يكفيني.

ـ ومع ذلك كنت تنوين الزواج به.

فهزت كتفيها:

ـ نحن ملائمان لبعضنا.. فلمَ لا؟

وكشف عن أسنانه بابتسامة قاسية:

ـ كراولي لن يناسبك مطلقاً.. إنه ناعم جداً.

كان كلامه أقرب إلى الحقيقة حتى إنها أحست بالغضب:

ـ لا تسخر من غرانت! أنت من بين كل البشر! ليس هذا من حقك. إنه يساوي عشرة منك!

ـ ومع ذلك أنت تحبينني أنا.

وردت بعنف:

ـ لا!

فقال ببرود:

ـ أوه... بلى... أنت تحبينني، ولكن الاعتراف يؤلمك جداً. بيد أني انتزعت ذلك الاعتراف منك.

وأصبحت عيناها واسعتان وحشيتان كعيني قطة برية متوحشة وأردفت:

NOOR

ـ ولكنني لا أريد أن أحبك.

فابتسم وقال:

ـ أعلم... لقد أوضحت لي هذا... فأنا خنزير لا أطاق، وأنت تكرهين رؤيتي. هل تعتبرين عدم قدرتك على الابتعاد عن فراشي إطراء لي؟

وطارت إليه مكورة الأصابع لتخبش وجهه، ولكنه أمسك بها وأنزلها إلى ركبتيه، فقاومته بعنف، وصلبت جسدها فوق ذراعيه. ثم أخذ جسدها الغبي الخائن، يخونها من جديد، والتفت ذراعاها حول عنقه، تلامس شعره، مؤخرة عنقه، وأخذت تتأوه لعناقه.

وأخيراً توقف، ونظر إلى وجهها الأحمر الملتهب بحرارة.

ـ كيف تمكنت من السماح له بلمسك، وأنت تحبيني هكذا؟ كيف؟ أخبريني الآن.. هل ذهبت إليه بعد أن شاهدت جيسكا معي؟

فهزت رأسها نفياً وبضعف، فأجفل، وسأل همساً:

ـ وقبلها؟

ـ لم يلمسني يوماً.

وغرزت أصابعه في كتفيها:

ـ ماذا؟

ـ أوه... لقد كنت غاضبة لدرجة الاستعداد لرمي نفسي بين ذراعي أي رجل لمجرد الانتقام... ولكنني لم أفعل!

فحدق بها:

ـ ولكن كراولي قال...

ـ لقد كذب... كلانا كذبنا... إنه لم يكن يوماً..

ـ اللعنة عليه! الكاذب اللعين!

وعلا وجهه بياض بارد كالموت بدّد كل أثر للحياة فيه ما عدا

NOOR

حركة عينيه السوداوين فقالت بقلق:

ـ روبرتو.

فدفعها عنه، ووقف، ثم أخذ يذرع الغرفة مكفهر الوجه متصلب الجسد. ووقفت جيني حيث هي... ترتجف، تفكيرها مشوش تماماً.. ماذا قالت له كي يغضب هكذا؟ لقد توقعت منه أن يبتهج، لا أن يغضب بمرارة.

هل هو غاضب لأن غرانت كذب عليه؟ لا بد أن يفهم أن غرانت كان يحميها منه؟ لقد انزعجت في البداية عندما علمت ما قاله له، ولكنها بعد ذلك فهمت أنه فعل هذا لمصلحتها، لإنقاذ كرامتها. فلماذا يغضب روبرتو هكذا؟

● ● ●

٨ ـ لن أدخل سجنك

لم تشاهد جيني روبرتو لما تبقى من ذلك النهار، ولا زارته، فقد جرح شعورها بقوله إنها ستزحف إليه.

جلست في غرفتها تتسلى بمراجعة رسومها، لتكتشف أن خلفية كل تصاميمها كانت مناظر تأثرت بها هنا، مرت من عينها إلى يدها دون أن يتأثر عقلها بها، فقد وجدت في مناظر الجزيرة عاملاً محركاً لاتجاه آخر في الرسم... وهي تعلم أنها قادرة على رسمها. بل أرادت أن ترسمها، فأصابعها كانت تتوق للرسم. كان عقلها الباطن يسجل مناظر أحست بوجوب نقلها إلى لوحة.

اليوم الثاني كان براقاً وصافياً، والشمس قوية، والبحر متألق هادىء بالرغم من وجود بضع موجات بيضاء تبدو في الافق البعيد وهي تقترب من الساحل، وطيور البحر قريبة من الأرض، وهذا دائماً يعني أن طقساً سيئاً يختبىء خلف هذه المظاهر.

عندما نزلت إلى الطابق الأرضي، كان روبرتو هناك، يقرأ الصحف. قهوة بردت في الفنجان، وقطعة كرواسان تحمل قضمة منه.

تنفست عميقاً ثم تقدمت نحوه، فرفع نظره إليها، وسأل:

ـ أنمت جيداً؟

ـ شكراً لك.. وأنت؟

ولامست إبريق القهوة لتجده فاتراً، فرّن الجرس:

ـ ستأتيك ماريا بغيره.

وعرفت ماريا ما هو المطلوب، فأحضرت معها ابريق قهوة طازجة ونظرت إلى روبرتو ويديها على خصرها:

ـ هل قلت لها؟

ـ اهتمي بشؤونك!

فشخرت ماريا وضاقت عيناها بالغضب:

ـ أليس هذا من شأني؟ إذا ازدادت حالتك سوءاً فمن سيعتني بك؟

ونظرت اليه جيني بفضول:

ـ عمَّ تتحدثان؟

ـ لا تأبهي لها.

فقالت ماريا:

ـ الممرضة.

فرفع رأسه ونظر إليها بغضب:

ـ عودي إلى مطبخك.

فتابعت:

ـ سيطردها.

وزعق روبرتو:

ـ أخرجي من هنا!

وأصبح فجأة كالثور الهائج، ثخنت رقبته بعضلات الغضب، وانتفخت أوداجه، واحمرت عيناه. فخرجت ماريا رافعة رأسها، ثم قالت وهي تغلق الباب:

ـ إذا ذهبت، فستندم.

وما إن أقفل الباب حتى احتجت جيني:

NOOR

ـ لا يمكنك طردها، روبرتو، كن متعقلاً!

تناول جريدته من جديد، وهزها، ثم بدأ القراءة. فقالت جيني بتعقل:

ـ السبب الوحيد الذي جعلهم يسمحون لك بالمجيء إلى هنا هو اصطحابك لممرضة. فلم تبعدها؟ وما الفارق لو بقيت؟

ـ إنها مزعجة!

ـ ولماذا؟ ألأنها تجعلك ترتاح؟ أوه روبرتو.. لا تكن أحمقاً!

ـ لأنها طالما هي هنا، لن تبقي معي أنت طوال الليل.

ارتجفت بشدة لهذا... ولم تستطع إجابته. فأخفض الصحيفة، وفي عينيه تجهم وسخرية:

ـ هل ستفعلين؟

فاحمرّ وجهها وأشاحت بنظرها عنه:

ـ هذا ليس بعذر...

ـ إنه عذر كاف لي. أريد أن أراك معي عندما أستيقظ.

وأحست بالنار تسري في جسدها. ففي كلامه حنان ورقة، وإحساس مختلف عن الرغبة المتوحشة التي كان يظهرها لها، كان فيه شيء من حلاوة المزاح الذي كان بينهما قديماً... وسألته:

ـ ومتى ستذهب؟

ـ اليوم.

ـ بالقارب؟

فنظر إليها بقلق:

ـ بالطائرة... ولكن إياك والتخطيط للتسلل فيها حبيبتي... فأنت ستبقين هنا... أريدك معي طوال الوقت إلى أن تقلع الطائرة. وأتأكد أنك لم تحتالي للدخول اليها.

وسألته مقطبة:

ـ ولكن إذا لم تكن قد تعافيت تماماً فكيف لي أن أعرف؟ لا يعجبني هذا روبرتو.. أرجوك. على الأقل دعها هنا عدة أيام.

ـ لا... إنها تتدخل في حياتي كثيراً، وعلى كل لن نحتاجها، فأمي قادمة.

ـ إيفا!.. متى؟

ـ اليوم.. أيسعدك هذا؟

ـ أنت تعرف أنني أحب أمك.

فابتسم وأصبحت عيناه لطيفتان تذكرانها بعيني أمه المليئتان بالدفء.

ـ أجل أعرف أنك تحبينها. وهذا ما كان يسعدني دوماً. وهي تحبك، أكثر مما تحب أنا على ما أظن. فأختي وأمي لم تتفقا يوماً. فأنا تحب أن ترمي بثقلها أينما كان.. وأمي أرق من أن تحتمل هذا.

فقطبت جيني:

ـ أنا لم تحبني يوماً.

ـ لا.

ـ كانت تكرهني لأنني.

ـ لأنك زوجتي.. أعرف هذا. كانت دائماً تغار مني ونحن صغار. كانت تتمنى لو تكون صبياً، الابن الوحيد للعائلة. فيها تعطش كبير للسلطة والتملك، وزوجها المسكين مضطر للتحمل. ولكنني لا أنوي مطلقاً السماح لها بالتدخل في حياتي.

وتنهدت مرتجفة:

ـ والدك كان يكرهني أيضاً.

صمت للحظات، ثم قال:

ـ أجل... كان يكرهك، وأنا آسف يا حبيبتي، ماذا أستطيع

NOOR

أن أقول؟ لم يكن يثق بك لأنك غريبة.

ـ كان يفضل جيسكا.

فرد ببرود: «أجل».

ـ وفي النهاية فعلت أنت مثله.

فسارع يلف خصرها بذراعه، ويقول متأثراً:

ـ لا..

فقالت مرتابة:

ـ وماذا تعني بلا؟ ما هو السبب إذن؟

فصمت، وبدت الحيرة والارتباك في تعابير وجهه... وتردد مع أنه يرغب في الكلام... والتوى فمه.. فهمست:

ـ لا تتلاعب روبرتو.

وتخلصت منه بشراسة وركضت خارج الغرفة، أحضرت سترتها وخرجت من الڤيلا لتسير فوق الصخور عند الشاطىء. واستدارت مرة نحو الڤيلا لتجد صورته من وراء الزجاج.. كان ينظر إليها، يقرأ غضبها من تحركات جسدها، وأحست بتزايد غضبها لشدة شفافيتها.

لم يعتذر، لم يشرح، حتى ولا أبدى ندمه عن أي شيء. لقد استردها، وهي رمت بكل كبريائها أدراج الرياح عندما همست له أنها تحبه.. ولا بد أنه راضٍ عن نفسه الآن. لقد انتصر.. ولكن ألا ينتصر دوماً؟

أول غلطة ارتكبتها كانت ذهابها إلى المستشفى.. كان يجب أن تقول لإيڤا إنها آسفة ولن تستطيع الذهاب... ففي ذهابها إليه، اعترفت بضعفها نحوه، ولقد تمسك بهذا الضعف. وعرف كيف يستغل الموقف. وتركها توقع بنفسها بعد أن أعدّ فخه.. ولو أنها

حقاً كانت تكرهه لما ذهبت إليه، لما خلعت خاتم غرانت لتستعيد خاتمه. لما قبلته، لما سمحت له بمناداتها حبيبتي... أجل هي من سهلت الأمور له... وهذا اعتراف مرير.

كان عليها العودة إلى الڤيلا أخيراً.. فأين لها أن تذهب؟ والتقاها روبرتو عند الباب، يتفرس في وجهها ويقرأ بسهولة كل ما دار في رأسها من أفكار، وقال لها:

ـ تبدين كالأموات.

فرفعت رأسها الأشقر بمرارة، وعيناها قاسيتان شديدتا التألق:

ـ شكراً لك.

احست بنفسها كالجيش المهزوم، المتقهقر دون أمل، يواجه المنتصر القاهر.. يكره نفسه وهو من غير دفاع.

ـ أنت بحاجة لشراب ساخن يعيد لك قواك.

ـ هذا تصريح مقصود لإظهار ضعفي.

وابتسمت.. دخلا إلى غرفة الجلوس حيث كانت ماريا قد حضرت إبريق شاي ساخن.. تناولت فنجاناً، شعرت بالدفء بعده وعاد اللون إلى وجهها، ولكنها استمرت في شعورها بعار الهزيمة. ولاحظ روبرتو هذا متجهماً.

بعد الغداء، جلسا معاً يستمعان الى الموسيقى... وأحست جيني بنعاس غريب، فتكورت إلى جانبه كالقطة. رأسها مشدود إلى صدره بيده... ولطالما كان هذا ملاذاً لا يخيب بالنسبة لها.

عندما استيقظت، لم تجد روبرتو قربها، فقد وقع رأسها بكل لطف فوق الوسائد، والغرفة معتمة بنور بعد الظهر المتأخر. وفجأة سمعت صوت الطائرة من بعيد، فنهضت بسرعة، ومن النافذة

NOOR

أخذت تراقب الطائرة تدور في دوائر فوق الجزيرة قبل أن ترتفع وتختفي في السماء الزرقاء. إذن لقد رحلت الممرضة، وستكون إيڤا هنا بعد لحظات.

وخرجت إلى الردهة، وفتح الباب الخارجي وتناهى إليها صوت روبرتو، يتحدث الإيطالية بسرعة، وفي نفس اللحظة دخلت إيڤا. صغيرة، مرتبة، قلقة العينين، ولرؤيتها جيني ابتسمت فوراً، ومدت ذراعيها:

- يا عزيزتي! هل اندهشت لرؤيتي؟ أنا المندهشة لوجودي هنا. ولكن روبرتو اتخذ هذا القرار السريع... كانت رحلة متعبة.. مررنا بعاصفة كهربائية فوق المحيط. وأخذنا نعلو ونهبط ككرة مضرب. ولكن أندرو تمتع بكل لحظة من الرحلة، لقد ظن أنهم يفعلون هذا لأجله...

اختفى صوتها عندما شحب وجه جيني، وضغطت بيدها على قلبها وكأنها تتألم.. ثم همست:

- ألم تكوني على علم. أوه... جيني!

دخل روبرتو من الباب، والصبي على كتفه، يضحكان. عينا الصبي كعينا أبيه، ويداه تداعبان شعره.

ونظرت جيني إلى وجه روبرتو بوحشية:

- لعنة الله عليك!

ثم استدارت وركضت تصعد السلم، وأقفلت باب غرفتها. وجاء إليها فيما بعد ليقرع الباب، ولكنها لم ترد. كانت مستلقية في فراشها ترتجف. يدها فوق فمها والغرفة تزداد ظلاماً. وصاح بها آمراً بحدة:

- افتحي الباب!

في مكان ما من المنزل سمعت ضحكة الصبي، بابتهاج على طريقة الأطفال. وكأنما أحد يزكزكه، وعضت جيني أصابعها محدقة في الظلمة... وسمعت روبرتو يطلق تهديداً فارغاً:

- هل أكسر الباب؟ أنت تتصرفين كالأطفال، وحق الله!

فردت بصوت عميق أجش:

- اذهب من هنا.

ومرت لحظات صمت، وكأنما رنة صوتها أذهلته، ثم تكلم بلهجة مختلفة، لطيفة، متملقة:

- كان يجب علي إخبارك... أعلم. كانت صدمة لك. وأعلم هذا أيضاً ولكنني كنت أخشى أنك لو عرفت لحاولت الهرب في الطائرة.

وردت عليه بنفس اللهجة:

- كذاب! ما كنت لتسمح لي بالاقتراب منها.

وصدر صوته من بين شقي الباب، وبصوت ناعم:

- افتحي الباب... من السخف أن نتحدث معاً عبر باب موصد. أتريدين أن يسمعنا من في المنزل؟

- لست أهتم... فليسمعوا... ولماذا آبه للأمر؟

- سيزعج هذا امي.

- أمك؟ إنها تعرف حقيقة شعوري تجاه الصبي. هل قلت لها إنني أصبحت الآن عشيقتك لا زوجتك، أم لا لزوم لأن تعرف؟ هذا ما كنت تريده منذ البداية يا روبرتو.. أليس كذلك؟ أنا لم أكن يوماً بمستوى أن أكون من آل باستينو... ولكنت أغويتني أصلاً دون الزواج مني لو استطعت... ولكن لدي أب يهتم بما يحصل لي. وكان يحميني أكثر مما كنت تتصور فلم تجرؤ على نيل ما

NOOR

تريده دون زواج. وكان يناسبك أكثر لو أن لا أب لي.

كانت تصيح، صوتها خشن، مليء بالألم والغضب.. فتمتم بصوت منخفض بالكاد سمعته:

ـ لا تقولي هذا.

ـ لا أقول الحقيقة؟ لماذا جئت بي إلى هنا إذن؟ هل أحسست بحاجتك إليّ ثانية؟ صحيح روبرتو؟ وهذه المرة لست مضطراً لسخافة الزواج.. ما عليك سوى أن تمد يدك وتأخذني...

وتوقفت كلماتها الغاضبة، الشرسة، المريرة، وسط اختناقها بالدموع. ودفنت وجهها بين يديها.

وضرب بقبضتيه على الباب فاهتز:

ـ افتحي الباب!

ولم ترفع رأسها... بل همست بخشونة:

ـ إذهب إلى الجحيم!

ساد الصمت، وعرفت أنه ابتعد. وبقيت مستلقية كما هي والعتمة تزداد كثافة. وتوقفت ضحكات الصبي.. وتساءلت ماذا يفعل روبرتو الآن. وعلمت أنها تتصرف بغباء، ولكنها لم تكن تستطيع منع نفسها... ما كان يجب أن يأتي بالصبي إلى هنا.

لم يكن غضبها بسبب أن الصبي هو ابن جيسكا بقدر ما كان يغضبها اكثر شدة شبهه بأبيه. ووجوده الآن هنا يجعل ما يجري بينها وبين روبرتو أمر مخزٍ. إنها علاقة ليس لها مكان في حياته. أندرو هو ابنه... باستينو... وهي مجرد عشيقة لروبرتو. إحدى نسائه يستغلها مثلهن.. ومع الوقت ما من شك أنه سيصرفها كما كان يصرفهن. وسينظر إليها اندرو ليوازيها بالاخريات اللواتي مررن في حياة أبيه. وهذا ما تجده لا يحتمل.

وسمعت صوت روبرتو فجأة يصرخ:

ـ بعد نصف دقيقة سأطلق النار على هذا القفل اللعين.

فجلست مجفلة في فراشها.. لا يمكن أن يعني ما يقول... ولكنه يعنيه بالطبع. فلديه مجموعة جميلة من الأسلحة في مكتبته، ويعرف كيف يستخدمها جميعاً. إنه رام من الطراز الاول.

منتحبة.. تقدمت لتفتح الباب، فدخل كالعاصفة والمسدس في يده، وفي عينيه الخطر. وقال متمتماً:

ـ أيتها الحمقاء الحقيرة!

رمى المسدس إلى الطاولة، وأمسك بوجهها بيد وأضاء النور بالأخرى.. فأحست بالدوار يغشي بصرها... وشاهد روبرتو الدموع على وجهها وآثار الالم. وقالت هامسة:

ـ ما كان يجب أن تأتي به إلى هنا.

ـ وهل أسألك السماح له بالمجيء؟ وكيف يمكن أن يكون ردك؟ كنت ستصرين على الرحيل.. أليس كذلك؟ اعترفي؟

ـ كما سأصر الآن!

وأمسك بكتفيها:

ـ لن أتركك تذهبين أبداً. أنت لي.

ـ لقد قلت هذا لوالدي.. وتطلقنا.. ولم تقترب مني لخمس سنوات.

ـ لأنني كنت أعتقد أنك تنامين مع كراولي.

وصدقته.. فعمق النبرة في صوته كان مقنعاً. وأكمل:

ـ كنت أريد قتله.. وقتلك، ولكنك اختفيت، ثم قيل لي إنك تطلبين الطلاق مني رسمياً.. ولو كنت وجدتك لسببت لك اصابة. عندها كنت سأتركك.

NOOR

ـ ألا زلت تعتقد أن علاقتك بجسيكا غير مهمة؟ كل ما عندك هو الاتهام، لا تدافع عن نفسك أبداً.. ترفض أن ترى أي خطأ فيما فعلته... أليس كذلك روبرتو؟ كل ما يهمك من الأمر أن أحد ممتلكاتك قد شرد منك؟

إحدى يديه، تسللت إلى شعرها، وأخذت تلف خصلات منه حول أصابعه... وقال:

ـ ولكنه لن يشرد مني ثانية... لقد استعدتك، وسأحتفظ بك.

ـ وهل تظن حقاً أنني سأرضى بأن أكون في منزلة العشيقة في نظر ابن جيسكا؟

تأوه طويلاً:

ـ آه.. هذا هو الأمر إذن.

ـ لن أقبل بهذا مطلقاً!

ورد ببرود:

ـ ولنفترض أننا متزوجان؟ فما الفارق؟

وشهقت بأنفاسها، وصمتت للحظات، ثم ردت بخشونة:

ـ لم تذكر الزواج من قبل.

فالتوت شفتاه:

ـ لم يبدُ لي مهماً.

ـ أتصور هذا. فكل ما كان في بالك أن تحصل عليّ. أليس كذلك؟

وانحنى نحوها مبتسماً.

ـ لا شيء غيره... ولأسابيع بعد استردادي لذاكرتي. يا حبيبتي!

ـ خنزير!

ـ وما كان رأيك بما حدث؟ صدقاً الآن؟

ـ كنت أود لو أرميك في الزيت المغلي.

ولكنها كانت تكذب وكلاهما يعرفان هذا.

ـ فكري الآن.. لو تزوجنا، فهل ستقبلين بأندرو كابن لي؟

ـ أجل.. سأقبل به.. ولكنني لن أتزوجك روبرتو، في مطلق الأحوال. فانا لا أثق بك. فهناك الكثير من النساء في حياتك ولن أمر ثانية في تجربة رؤية امرأة أخرى في فراشي يوماً من الأيام.

ـ لن يحصل هذا.

ـ تقول هذا الآن، ولكنك سرعان ما تغير رأيك. صدقتك فيما مضى... وكنت صغيرة وحمقاء.. ولطالما حذرني والدي وغرانت....

فاحمرت عيناه:

ـ لا تذكري اسم كراولي امامي... وإلا لن أكون مسؤولاً عما سيحصل!

ـ أنت لم تحب غرانت يوماً!

ففحك ضحكة غاضبة وقال:

ـ أكره رؤيته ويكره رؤيتي. وكلانا يعرف لماذا.

وردت بهدوء.

ـ لطالما كان طيباً معي.

ـ بالطبع.. فهو رجل صبور. يعرف ما يريد، ومستعد للانتظار على أمل الحصول عليه.

ـ أظنك تسيء الحكم عليه.

ـ لا... بل أنت من أسأت الحكم عليه... ولكنك لن تتزوجيه... وستتركيني أعيد له خاتمه بنفسي، لأضعه في حلقه.

NOOR

ـ لا تتكلم هكذا! أنت لا تنصف غرانت! مهما كان شعورك نحوه فهو من ألطف الرجال الذين عرفتهم.

ـ ولكنه أساء إلينا كثيراً.. ولا ندين له بشيء.. صدقيني.

أحست بالحرارة تؤلم خديها:

ـ ولكنه فعل هذا لأجلي... كان يحاول إنقاذ ماء وجهي.. إنقاذ كبريائي.. وأظنه كان يحاول إيهامك بأنني لا أهتم بما فعلت.

ـ وهل تؤمنين بهذا حقاً؟ لقد فعل هذا لأجل نفسه! لقد شاهد أمامه فرصة وتمسك بها. فرصة تفريقنا والفوز بك لنفسه.

ـ كنا سنفترق على كل الأحوال بعد الذي رأيته!

فهز رأسه ببرود وقال:

ـ لا يا جيني... فما رأيته لم يفرقنا.. بل كراولي هو الذي فعل.

وأحست باليأس.. ألا يمكن له أن يرى الحقيقة؟ ألا يمكن له أن يفهم؟ أكان أعمى لهذه الدرجة تجاه خيانته لها؟ أيمكن أن يعتقد حقاً بأنها كانت ستتجاهل خيانته؟

ـ نحن نتكلم بلغتين مختلفتين... لن أستطيع تقبل أن للرجل الحق في الخيانة الزوجية.. ربما فتاة من بلادك قد تهز كتفيها دون اكتراث لشيء كهذا. ولكنني أنا لن أستطيع. ويجب أن تفهم هذا. أنا لا أتحدث عن الأخلاقيات أو القوانين... أنا أتحدث عن الحب.

وتسللت يده بنعومة من ذراعيها إلى عنقها:

ـ الحب.

فجذبت نفسها منه:

ـ لا تفعل هذا! أوه... بإمكانك إجباري على التجاوب... ولا أستطيع الإنكار.. ولكنني لا أتكلم عن التجاوب الجسدي. أنا أتكلم عن الثقة، والصدق، ولا أستطيع أن أثق بك في كليهما، روبرتو. أتظن أنني أريد زواجاً أكون خلاله محتارة دوماً، أتساءل في أي فراش أنت؟ أي نوع من الحياة هذه؟ سأجن في وقت قصير.

وهز كتفيه:

ـ حسناً... أصلحي وجهك. مشطي شعرك. وانزلي إلى الطابق الأرضي قبل أن تظن إيڤا ولويس أنني أقتلك.

ـ لويس؟ وماذا يفعل هنا؟ لماذا جاء بحق الشيطان؟ لا تقل لي كذلك إن أختك آنا هنا؟ وكذلك جوليان.. هل جاءت كل عائلتك اللعينة؟ ماذا يجري؟ هل هو تجمع لقبيلة بني باستينو؟

فتحرك نحو الباب، ونظر إليها من فوق كتفه:

ـ لقد طلبت من لويس أن يأتي.

ولسبب ما، أحست بلسعة قاسية لم تفهم سببها.

ـ لم تكن حكيماً في قرارك هذا، روبرتو. فهو سيتساءل بفضول... فلطالما كان معجباً بي.

فنظر إليها بحدة:

ـ إنه يعبث مع كل أنثى يلتقي بها يا عزيزتي... فلقد ولد وهو منتهز للفرص.

ـ ألم تندهش لسماعك أنه غازلني؟

فابتسم:

ـ سأدهش أكثر لو سمعت أنه لم يفعل. أنت جميلة، ولم يفتني أبداً إعجابه بك.

وغضبت جيني للهجته، وقالت:

ـ ولكنك كنت واثقاً جداً مني... أليس كذلك روبرتو؟

NOOR

فابتسم ابتسامة غريبة وقال:
ـ أنا أثق بك عزيزتي.
وترك الغرفة... تاركاً إياها ترتجف من جراء رده.

● ● ●

٩ ـ كذبة واحدة تكفي

أخذت جيني وقتها لتستعد، وهي تشعر بالحرج لما حدث في الساعة التي مرت، لهذا لم تكن متلهفة لمواجهة إيڤا ولويس. أمضت نصف ساعة قبل أن تترك غرفتها... وسارت ببطء تنزل درجات السلم ووقفت في الردهة تصغي إلى الهمهمة الخافتة المنبعثة من الصالون... وكان سهلاً عليها أن تميز صوت لويس العميق البطيء. وكانت إيڤا تضحك بنعومة، وتقول «كم هذا سخيف» عندما فتحت جيني الباب لتقف متحدية الجميع، رأسها مرتفع بكبرياء، وعيناها تبرقان.

قالت إيڤا بهدوء وكأن شيئاً لم يكن:
ـ ها أنت يا عزيزتي! تعالي واجلسي قربي.
نظرت جيني حولها، فلم تجد أندرو. وفهمت إيڤا تلك النظرة... فقالت بصوت هادىء:
ـ أندرو نائم.
ـ آه.. فهمت.
وقطعت الغرفة شاعرة بوقع نظرات روبرتو عليها، تتجول من صدرها المرتفع تحت الفستان الحريري حتى ساقيها الطويلتين الناعمتين تحته. وجلست تضع ساقاً فوق ساق... والتفتت إلى لويس، الذي كان يركز بنظرة إعجاب عليها كذلك... فابتسمت له

NOOR

جيني بإغراء:

ـ مرحباً لويس... ما الذي دفعك لترك النوادي الليلية في نيويورك؟

فرد مبتسماً:

ـ روبرتو.. ومن غيره؟

ـ ومن غيره!

وسألها لويس وهو يقف:

ـ ماذا ستشربين؟

ـ شراب الكرز مع الصودا.

فصب الكأس لها بينما راحت عيناه تتجولان على جسدها وهو يقدمه لها وقال لها بصوت كمواء القط:

ـ لقد أصبحت أجمل من آخر مرة رأيتك فيها.

فنظرت إليه متفحصة، ورموشها ترتعش متعمدة، فهي تعلم أن روبرتو ينظر إليهما.

ـ شكراً لك لويس.

فسألتها إيفا بسرعة، والقلق في صوتها:

ـ هل كنت ترسمين وأنت هنا؟

فاستدارت جيني إليها مبتسمة:

ـ لقد رسمت بعض الرسوم.. ولكنني وجدت نفسي أرغب في رسم لوحة لهذه المناظر. عندما أعود إلى منزلي سأرسم لوحة كبيرة تمثل منظر الأرض هنا ولدي عشرات الأفكار الأخرى.

ونظر لويس إلى ابن عمه، وسألها:

ـ وهل ستعودين قريباً؟

قال روبرتو دون تردد، وهو يتكىء إلى ظهر كرسيه والكأس في يده:

ـ لا!

ولم تنظر إليه جيني، بل تجاهلته وردت على لويس:

ـ بأسرع وقت ممكن. يجب أن أعود إلى عملي... فلقد ضيعت الوقت الكثير هنا.

فعلق لويس:

ـ أنت تكتسبين شهرة في عالم الأزياء.. ولا بد أن هذا يكسبك المال الآن.. لقد قرأت مقالة عنك في مجلة أميركية.

فقالت مبتسمة بخبث:

ـ أجل.. فقد أراني غرانت المقال.

فابتسم لويس ابتسامة غريبة.. وطافت عيناه فيها بطريقة لم تعجبها، ثم تمتم بنعومة:

ـ آه.. خطيبك! أيعلم بأنك هنا.. على فكرة؟

أحست جيني بالحرارة في كل جسدها، ولكنها أجابت بصراحة:

ـ أجل... يعرف.

ونظرت إلى لويس متحدية، تتحداه أن يقول كلمة أخرى حول الأمر. ولكنه قال:

ـ لديه أفكار متحررة. لو كنت لي، أظن أنني سأكون أكثر تملكاً.

فصاح روبرتو من بين أسنانه:

ـ هذا يكفي!

فكشر لويس بابتسامة له:

ـ هيا.. روبرتو.. لم تعد زوجتك، وهي حرة في اختيار من تريد. برضى كراولي أم بغير رضاه.

NOOR

وصمت روبرتو لكن وجهه بقي متجهماً وعيناه تلمعان من شدة الغضب. ثم قال للويس بحدة:

ـ أتريدني أن أقتلك؟

واختفت البسمة عن وجه لويس:

ـ ألم تكتفِ منها بعد؟ لقد حصلت عليها لمدة أسبوع. وأظن هذا سبب مجيئك بي إلى هنا... كي آخذها منك، ولن تكون المرة الأولى التي ترمي فيها إحدى نسائك عليّ للتخلص منها. أليس كذلك؟

أحست جيني بالإذلال يحرق وجهها... وقفزت على قدميها، فأمسك روبرتو بمعصمها، ليعيدها إلى كرسيها وكأنها طفلة:

ـ ابقي هنا.

وأطلقت في وجهه غضبها الحارق:

ـ وأستمع إليه؟ ماذا تحاول أن تفعل معي روبرتو؟ أهذا هو سبب وجوده هنا؟ هل ستسلمني إليه كلعبة تعبت منها؟

وقال لويس، والبريق في عينيه جعلها تحس بالغثيان:

ـ لعبة جميلة جداً. قد لا تجدين هذا التبادل سيئاً جيني. وقد أفاجئك.

وأخذ يتفحصها، والاحمرار يتصاعد من عنقها ليشعل وجهها. ووقف روبرتو باسترخاء. ولكن لم يكن في وجهه أي شيء يدل على الاسترخاء. تراجع لويس فجأة وقد امتلأ وجهه بالرعب.. وأطبقت يدا روبرتو على عنقه... وقاوم لويس دون جدوى، يلعن ويسعل، يداه لا تستطيعان زحزحة قبضة روبرتو عن عنقه، ثم طار فجأة ليقع فوق كرسي، وأخذ يشهق محاولاً التنفس، وجهه شديد الاحمرار... وهو مستلقٍ في مكانه يتلمس عنقه بخوف.

حدق روبرتو به متجهماً ثم تمتم:

ـ أنت محظوظ لتركي إياك تتنفس. ما تركتك تتمادى معها إلا لكي تعرف أي نوع من الخنازير أنت.

والتفت إليها:

ـ لقد تركته يظن أن بإمكانه معاملتك كما اتفق، كي تعرفي حقيقته، وأنا آسف لأنه آلمك، جيني. لم يكن سهلاً علي الاستماع إلى قذارته. صدقيني.

ومالت إيڤا إلى الامام ولمست ذراع جيني بكل لطف:

ـ أريد أن أخبرك قصة.

فتمتمت جيني:

ـ لا أود سماع شيء...

فقال روبرتو:

ـ يجب أن تسمعي. لقد جئت بهما إلى هنا كي تستمعي. فلو أخبرتك انا، لما صدقتني... استمعي لأمي جيني.

فردت بغضب:

ـ لقد ثبت لي أنها قد تكذب إذا أردت أنت منها هذا.

ـ ولكنها لن تكذب هذه المرة.

ـ وكيف أعرف؟ لن أصدق كلمة تقولها بعد الآن.

فحدق بها ثم التفت إلى لويس وقال لها:

ـ راقبي وجهه وهي تتحدث... وستصدقين.

ونظرت إلى لويس لتشاهد الصدمة في وجهه، كان ينظر إلى ابن عمه، قسماته خائفة، مضطربة، يعلو وجنتيه الاحمرار.

وجلست جيني ببطء... ونظرت نحو إيڤا:

ـ حسناً؟

NOOR

فقالت إيڤا:

ـ لست بحاجة لأقول لك، ان زوجي وقبل أن يلتقي بك أندرو بزمن طويل كان يحاول إجباره على الزواج من جيسكا... لقد كان لا يستسيغ فكرة أن لا يتزوج ولده من إيطالية. ولم يكن يحب فكرة استقلالية ابنه عنه. ولطالما أراد فرض إرادته على روبرتو، ولكن لروبرتو إرادة من فولاذ. فهو أصلب من أبيه، ولا ينحني أبداً أمام أيٍّ كان. ولطالما تشاجرا بمرارة... وكان أنطونيو لا يخفي الأمر عن أحد، وجيسكا كانت تعلم بأنه اختارها زوجة لروبرتو... ولسوء الحظ كانت تواقة بشكل غريب للحصول على ما تريد.

وتكلم لويس، وعنقه يؤلمه من قبضة ابن عمه:

ـ لقد كانت العاهرة الصغيرة مفتونة به.

فسأله روبرتو بصوت غريب:

ـ وهذا ما أزعجك... أليس كذلك؟

ـ لقد كنت أشعر بالسقم عندما أشاهدها تتودد إليك، وكأنك نوع من الآلهة، وأنت لا تأبه لها.. كان عليك أن تكون شهماً أكثر.

ـ كما كنت أنت؟!

ـ لقد تركتك تدوس عليها، ظنت بأنك ستتزوجها في النهاية حتى وهي تعلم بأنك تكرهها. وعندما تزوجت جيني... شعرت بالإحباط، وبدت كالحمقاء. وكنت قد حذرتها فلم تستمع إلي.

فتمتم روبرتو بنعومة:

ـ ولكنك كنت مستعداً لمواساتها؟

فاحمر وجه لويس بعمق. ولم يرد، بل حدق بابن عمه الذي تابع قائلاً:

ـ لقد لاحقتها دون هوادة. وأمطرتها بالغزل الذي وجدته في

النهاية لا يقاوم... كم استغرق ذلك لويس؟ ستة أشهر؟ تسعة؟ لم تكن سهلة المنال، أليس كذلك؟ كان عليك أن تعمل جاهداً لتحقق أهدافك.

فشخر لويس، وقد تصاعد غضبه:

ـ لا تزهُ بنفسك! لقد كانت ناضجة للقطاف بعد أن أذللتها بالزواج من أخرى. وهكذا وقعت في يدي كالتين الناضج.

وحدقت به جيني وذهنها يعمل بسرعة.. إذن كان لجيسكا علاقة غرامية بلويس؟ ولم يدهشها هذا. ولكنها لم تدرِ ما علاقة هذا بما حصل فيما بعد. وقال روبرتو بلهجة باردة كالجليد.

ـ أهكذا ستقصّ الأمر على زوجتك؟

فشهق لويس بحدة وارتباك، وتلاشى كل لون من وجهه وحدق بروبرتو بعينين مشدوهتين:

ـ لا يمكنك! لا يمكنك إخبارها! سيقتلها هذا!

ـ كان عليك أن تفكر بهذا قبل الآن.

ونظر لويس إلى إيڤا، متوسلاً:

ـ إيڤا... أنت تعرفين ما قد يفعل هذا بها! لا يمكنك تركه يخبرها. لن تتحمل الصدمة!

وبرز الحزن والمرارة على وجه إيڤا:

ـ المسكينة! إنها تستحق أفضل من وغد مثلك.

ـ لأجل الله!.. أنا رجل طبيعي، وهذا كل شيء. أتظنين أنه من السهل العيش مع امرأة أحبها ولا أستطيع لمسها؟ أعلم إنني كنت أعرف هذا الواقع منذ البداية. ولكنني أحببتها كثيراً، وأردتها زوجة لي، مع إنني أعرف أن حالة قلبها تهدد بموتها في أية لحظة.. وكانت تعرف أن لي علاقات، وتتجاهلها.. ولكن

NOOR

جيسكا؟... لن تسامحني على هذا... سيقتلها الخبر.

خلال خمس سنوات، كانت جيني قد نسيت كل هذا، ولكنها تذكرت الآن وارتعدت. كانت قد قابلت زوجته مرة واحدة. كانت تمضي أوقاتها كلها في الفراش لمرض مزمن في قلبها. وتذكرت جيني كذلك أن جيسكا كانت... شقيقتها.

كانت إيڤا تنظر الآن إلى لويس بكل احتقار، وهزت كتفيها:

ـ كنت تعرف تماماً ما تفعله.. لقد أغويت شقيقة زوجتك عن قصد ولا تحاول الإنكار... فلقد كنت تعرف أنها الخيانة التي لا يمكن أن تغفرها لك.

ونظر إليها كالحيوان العالق في الفخ، وشفتاه مكشرتان عن أسنانه... وصاح:

ـ الكلام سهل عليك. لن تتمكني من معرفة حقيقة الأمر بالنسبة لي.

ـ صحيح؟ ولكن زوجتك كانت تعرف، وتعرف أنك ضعيف الإرادة على حياة التقشف... ولم تتزوجك بسهولة لويس، لقد ناقشت العائلة الأمر لفترة طويلة معها قبل أن تعطيك الرد. وكانت تعرف تماماً أنك تريد الزواج منها لأجل حصتها من مال العائلة.

وصاح بألم ظاهر في صوته:

ـ لا! إنها لا تعرف هذا... لا يمكن!

ـ لقد فكرت بكل شيء، وكانت كل القرائن ضدك، ولكنها كانت تحبك فقررت المخاطرة ومواجهة الألم الذي كانت تعلم انك ستسببه لها، كما تحملت بكل شجاعة الألم والخوف من حالتها لسنوات.

وفجأة أحنى لويس وجهه بين يديه. وساد الصمت في

الغرفة.. أشعل روبرتو سيكاراً، وأسند رأسه على الكرسي يدخن. ونظره مثبت على رأس ابن عمه المنحني. وراقبته إيڤا كذلك، وكأنهما نسيا وجود جيني. بعد دقائق، استوى لويس في جلسته، ووجهه شاحب وقال:

ـ أنا أحب زوجتي.. ولهذا كنت أريد... بل كان يجب أن أحصل... على جيسكا. لأنها تشبهها.

ولم تبدو الدهشة على إيڤا لهذا الاعتراف. بل هزت رأسها وقالت:

ـ كانت جيسكا تعرف هذا.. لقد آلمتها. ولم تحاول إخفاء سبب رغبتك بها عنها.. أنت تقول إن روبرتو هو من جرح كرامتها... ولكنه على الأقل لم يستخدمها كبديلة في الفراش عن زوجته... شقيقتها.

فوقف عند النافذة:

ـ لماذا تفعلان هذا؟ لماذا تعيدان الذكرى بعد خمس سنوات؟ لماذا الانتظار خمس سنوات لتهديدي الآن بالكشف عن الأمر؟

نظر روبرتو إلى طرف سيكاره المشتعل... وقال:

ـ أندرو.

فاستدار لويس بحدة وهو مقطب:

ـ ما شأنه؟

ونظر روبرتو إلى جيني بسرعة، ثم إلى إيڤا بصمت، فسارع لويس يسأل بقلق:

ـ حسناً؟

فقالت إيڤا ببرود:

ـ اجلس يا لويس.

NOOR

ـ أوه... لأجل الله!

فصاح به روبرتو:

ـ اجلس!

فجلس ينتظر والغضب يملأ وجهه، فقالت إيڤا:

ـ إنه ابنك.

فحدق بها لويس بشراسة، ثم إلى روبرتو بعينين ضيقتين:

ـ أوه.. لا.. أنتما تكذبان! أتظنان أنني لم أسألها عن هذا؟ يا إلهي... عندما أفكر...

وأدار وجهه الوسيم نحو جيني، وعلت وجهه تكشيرة:

ـ آه... لقد فهمت... أنت تحاول تبرئة نفسك أمامها. أليس كذلك؟

فقالت جيني بخشونة:

ـ لن أستمع إلى أي شيء من هذا بعد الآن... إيڤا أقدّر لك ما تحاولين فعله، ولكن، لأجل السماء، لا تكذبي حول ذلك الصبي الصغير المسكين. لا أريده أن يتألم إيڤا... أي نوع من الوحوش تظنينني؟

فقالت إيڤا بهدوء:

ـ لدي الدليل.

وبدا أن لويس على وشك الاختناق. وسأل بيأس:

ـ أي دليل؟

فردت ببرود:

ـ اعتراف جيسكا وسأريك إياه بعد لحظات. فأنا لم أخبر جيني بقصتي بعد فالزم الهدوء لويس، لأكمل القصة.

والتفتت إلى جيني.

ـ ليلة تشاجرت مع روبرتو، وخرجت إلى منزل أبيك...

حصل شجار حاد آخر بين روبرتو وأبيه... وأصيب بألم حاد في رأسه حتى إنه اضطر إلى ابتلاع اكثر من حبة منوّم. ووجدته في مكتبته بعد منتصف الليل، فاستدعيت خادمان ليحملانه إلى فراشه. ولم نستطع إيقاظه وكانت جيسكا في المنزل بالطبع. وخرجت من غرفتها بملابس النوم لتعلق بشكل لاذع على حالته، والشجار بينكما... وكنت حادة معها... فعادت إلى غرفتها غاضبة.

وقاطعها روبرتو بصوت عميق:

ـ نمت كالميت طوال الليل. وعندما استيقظت وجدتها في فراشي.

فضحك لويس بخشونة:

ـ هنا تبدأ القصة الخرافية يا جيني.

ونظر إليه روبرتو بغضب:

ـ اقفل فمك أو أقفله لك!

وعاد إلى جيني:

ـ كان رأسي يضج كالطبول.. وأحسست بالغثيان.. وآخر شيء كنت أرغب فيه هو النساء. وخاصة جسيكا.. يا إلهي جيني... كان بإمكاني الحصول عليها في أي وقت وبإشارة من إصبعي.

وشاهد إجفالها فضحك:

ـ أعلم أن هذا كلام قاس. ولكن هذه هي الحقيقة. لقد عرضت جسيكا نفسها علي على طبق من فضة عشرات المرات. ولكنني لم أكن أهتم بها... وقلت لها يومها أن تخرج من غرفتي... فضحكت. ثم قالت بأنك عدتِ ووجدتها في فراشي.. كانت قدّرت أنك قادمة من الخارج، فسارعت إلى غرفتنا واندست في الفراش معي... يا إلهي! تلك العاهرة! كان يجب أن ترى

NOOR

وجهها وهي تخبرني بالأمر! فنهضت من الفراش لأرتدي ملابسي وأسرع للبحث عنك. ولم أتوقع أن يقابلني كراولي بتلك الكذبة. كان محظوظاً أنني لم أقتله، ولكنه تمكن مع والدك من طردي خارج المنزل.

وأكملت إيڤا القصة بعد أن توقف:

ـ عاد إليّ يومها بحالة مريعة، وصدمت بما أخبرني به.. ولكنني أصريت على رؤيتك بنفسي.. كنت أعلم أنك ستخبريني الحقيقة.. وطلبت من روبرتو أن يتركك وشأنك إلى أن أراك. وتعرفين ما حدث بعد ذلك. اختفيت، ورفض والدك تمرير أي رسالة لك. وقلت لوالدك الحقيقة حول ما حدث بين روبرتو وجسيكا.. ولكنه لم يصغ الي.

وذهلت جيني:

ـ أخبرت والدي؟ لم يقل لي كلمة عن الأمر.

فرد روبرتو:

ـ لأنه لم يحبني قط... كلانا كان له أب خلق المشاكل بيننا بوجهات نظره ولأكن صريحاً، فإن والدك كان يتوق لمنع زواجك مني.

وأكملت إيڤا بنعومة:

ـ للإنصاف.. لم يصدق والدك قصتي. قال إنها قصة لا يمكن أن تصدق. وربما لم يخبرك لهذا السبب.

وقال روبرتو:

ـ كتبت لك. ولم تقرأي رسائلي، أليس كذلك؟ لم يكن سهلاً عليّ تصديق أنك أحببت كراولي... ولكنني كنت آمل أن يكون ذلك للانتقام فقط. مجرد دواء ليشفي جراح كرامتك. وحاولت

الوصول إليك فرفضت، ولم أستطع أن أجد مكانك حتى تطلقنا. ثم رأيت كراولي وقال لي بأنكما ستتزوجان.

ـ غرانت قال لك هذا؟

ـ قال إنك مغرمة به، وصدقته.. وتركته وأنا أتمنى لو أستطيع أن أخنقك بيدي.

ـ ولكنك تزوجت جسيكا.

ـ آه.. أجل... جيسكا.. لقد بدا عليها حتى ذلك الوقت بوضوح عوارض الحمل. وعندما أصرّ والدي على معرفة والد الطفل، قالت بأنه مني.

فصاح لويس:

ـ لقد كان ابنك... إنه يكذب جيني... إنه أبوه.. صدقا.. لقد نام معها تلك الليلة.

فصرخت إيڤا بحدة:

ـ لا! بالطبع أصرت جسيكا على هذا. وأنت أصريت على وجوب زواج روبرتو منها حال أن يصبح حراً.

وقال روبرتو:

ـ أما أنا فلقد كنت في مزاج لم يسمح لي بالاهتمام بشيء... ولكنني كنت أكره جيسكا لما فعلته لنا. وقلت لها هذا. فهددت أن تقول الحقيقة لأختها عنها وعن لويس إذا لم أتزوجها. عندها فهمت من هو والد الطفل وعندما أظهرت لها معرفتي، اعترفت بكل برود.. طبعاً ليس أمام والدي.

فشخر لويس:

ـ كم هذا مقنع.

فرد عليه روبرتو:

NOOR

- ما عدا أنني كنت احتطت للأمر.

- وأي احتياط؟

- سجلت لها كل كلمة قالتها.

وساد الصمت، وأحس لويس بالاختناق، ومرر أصابعه على شفتيه وكأنهما جفّتا. وأكمل روبرتو:

- وعندما علمت جيسكا أن لدي الدليل على كذبها على أبي، غيرت لهجتها.. وأصيبت بالهستيريا، وهددت أن تجبر لويس على الاعتراف بالطفل حتى ولو قتل هذا شقيقتها.

وتنهدت إيڤا.

- كانت تعني ما تقول. كانت تغار من شقيقتها وكانت تعلم أنك لم ترغب بها إلا لأنها تشبهها.. وأظنها كانت تود أن تطلعها على الأمر ورحبت بتلك الفرصة.

وقال روبرتو:

- لم أستطع ترتها تفعل. كنت خسرت جيني على أي حال. وهكذا تزوجت جسيكا لإعطاء أندرو اسمي. إنه دم آل باستينو في كل الأحوال، وله حق بالاسم.

ووقف لويس ببطء:

- حتى ولو اعترفت جيسيكا بهذا، فليس هناك دليل على أنه ابني.

فقال روبرتو بهدوء:

- عندما ولد، كان بحاجة إلى نقل دم فوري. وانت تعرف لماذا كما أعتقد يا لويس؟ فئة دمك RH سلبي أليس كذلك؟

- أجل.

- وفئة دم جسيكا RH إيجابي، وهذا له علاقة بدم القربى

والطفل الذي يحمله لا يمكن أن يعيش إلا إذا تغير دمه فوراً، وخلال دقائق من ولادته.

فتنفس لويس بعمق:

- يا إلهي!

- ولكن جسيكا لم تكن تعرف هذا، ولا الأطباء، الذين كانوا يعتقدون أنني والد الطفل. وأن فئة دمي مماثلة لفئة دمها، وكانت صدمة لهم عندما ولد الطفل بلون أزرق.

فقال لويس بصوت خفيف:

- إذن هو ابني... يا إلهي...! إنه لي. لماذا لم تخبرني من قبل؟ أنت تعرف أنني كنت أجهل هذا الأمر.

فنظر إليه روبرتو ببرود:

- لم يكن لك الحق بأن تعرف... وحتى الآن كنت تنكره.

- هذا لأنني لم أكن أعرف. ولو عرفت لأسعدني هذا! أنت تعرف أن زوجتي لا يمكن لها أن تنجب ولداً. والآن تقول لي ان لدي ولد. وولد يحمل دم زوجتي ودمي.

فنظرت إليه إيڤا بغضب وقالت ببرود:

- ولكنك لن تتمكن ابداً من المطالبة به.. زوجتك يجب أن لا تعرف.

بدا على لويس الذهول.. وأغمض عينيه وهو يقول:

- لقد نسيت! وهذا عقابي... إنه ابني... ولن أستطيع الاعتراف به.

وتوجه نحو الباب وقال ساخراً:

- إنها أرواح الانتقام.. دائماً تنتقم في آخر المطاف.

بعد أن ذهب، وقفت إيڤا لتسير نحو الباب... تاركة روبرتو يسند رأسه على ظهر كرسيه، يراقب جيني متفحصاً.

NOOR

١٠ ـ صوم السنين

بعد لحظات صمت مذهول.. سألت جيني:

ـ لماذا لم تقل لي كل هذا منذ زمن؟

فرد بصوت منخفض:

ـ ما كنت صدقتني، حتى ولو أصغيت إلي. لا.. كان يجب إحضار لويس وإيقا الى هنا لأتأكد من سماعك كل شيء.

ونظرت إليه عبر رموشها قائلة:

ـ يجب أن تعترف... تبدو القصة بعيدة عن التصديق.

فضحك:

ـ والدي صدق جيسكا. وبالطبع كان يريد أن يصدق. وكان سعيداً لتطور الأمور بهذا الشكل.

وفكرت بجيسكا لأول مرة بتفهم وعطف:

ـ يا للفتاة المسكينة.. أصيبت بالأذى والألم من كل الجهات. منك ومن لويس، لا بد أنها يئست.

وأعطاها ابتسامة صغيرة ملتوية:

ـ ولو أنها تألمت، فقد استخدمت مخالبها لتنتقم، فلا تقلقي، كانت مستعدة للذهاب إلى شقيقتها. وحتى معرفتها بأنها يمكن أن تقتلها لم تعنِ لها شيئاً، كانت مستعدة لاستخدام كل الوسائل

المتاحة لها لتحصل على ما تريد. وكانت مصممة على تحميلي ولد لويس.

ونظرت إليه مقطبة:

ـ كنت أعتقد انها تحبك.

فهز رأسه:

ـ لا تكوني عاطفية يا جيني.. جيسكا لم تحب سوى جيسكا.

ـ وهل...

وأحجمت عن السؤال، وأخفضت عينيها وقد احمر وجهها.. فسألها بخبث وهو يبتسم:

ـ هل.. ماذا؟

فنظرت إليه بسرعة:

ـ تعرف ما كنت سأسأل.

ـ هل نمت معها؟ ما رأيك.. حبيبتي؟

وشدت على أسنانها، تريد أن تضربه:

ـ وكيف لي أن أعرف؟ كانت زوجتك لثلاث سنوات.

ـ كانت تحمل اسمي لثلاث سنوات. ولم تنم لحظة في فراشي... مع حب أو بدون حب. لم أكن أرغب بها ولم أدَّع هذا قط.. أوضحت منذ البداية أن زواجنا اسميّ فقط. حصلت على ما أرادت... أصبحت زوجتي أمام الناس... وعندما غرقت لم أستطع الشعور بالأسى عليها.

ـ مسكينة جيسكا.

ونظرت إلى الساعة:

ـ لقد اقترب موعد العشاء.

فضحك:

NOOR

- تغيرين الموضوع؟ لماذا يا ترى؟

فوقفت، ووقف معها. أمسك بذراعها محدقاً في وجهها المتجهم:

- ما الأمر الآن! لقد صدقتني، أليس كذلك... لم ألمس جيسكا تلك الليلة.. أقسم لك.

- أصدقك... ومع ذلك...

- مع ذلك... ماذا؟

- خمس سنوات... لماذا انتظرت خمس سنوات لرؤيتي ثانية؟

- إنه كراولي... لقد صدقته، كنت أتصور حالتك الذهنية، بعد رؤيتي مع جيسكا... وكنت أعرف أنه ينتظر الفرصة.. وعندما قال إنك استسلمت له.. صدقته... أحسست بغيرة قاتلة... ولكن حتى هذا كنت مستعداً لغفرانه. ولو قابلتك لأصلحت الأمور. ولكنك ابتعدت. ثم انشغلت بمشاكل جيسكا والطفل. وصدقت أنك فضلته عني فقررت أن أزيلك من تفكيري.

فقالت ببرود:

- هكذا بكل بساطة؟

- لا.. لم يكن الأمر سهلاً. كنت أعتقد أنك تنامين معه.

- ألم تستغرب عدم زواجي به؟

- بلى.. ولكن كنت أتصور كراولي يحاول إقناعك بالزواج ويفشل.

- وماذا يؤكد لك أنه لم يكن هناك رجال غيره؟

- ستقولين لي أنت هذا.

- وهل ستصدقني؟

- أنا مضطر لتصديقك.. فأنا لن أتمكن من تركك تبتعدين

عني ثانية.

- لقد أردت الابتعاد عنك، ولكنني لم أستطع.

- لا تدعي رجلاً آخر يلمسك وإلا قتلتك وقتلته.. أحبك.. جيني قولي لي إنك تحبيني.

- لقد قلت لك.

- ولكنك كرهت ذلك الاعتراف.

فتنهدت:

- وهل تلومني؟ كرهت نفسي لرغبتي بك بالرغم من كل ما حدث.

- والآن؟

فمررت أصابعها فوق فمه، فأحست به يرتجف للمستها. فهمست:

- الآن!.. أستطيع القول إنني أحبك دون أي تحفظ.

فسألها:

- ومتى ستتزوجين مني ثانية؟

- حين تريد.

فلامس شعرها بخفة:

- هناك شرط واحد.

فنظرت اليه بدهشة:

- شرط؟

- أجل... كراولي.. أريده أن يبتعد عنك... وإلى الابد. لقد قام بما في وسعه لتفريقنا.. إنه يحبك بقدر ما أحبك أنا. ولا أريد أن يكون بقربك.

ووضعت يديها على كتفيه:

- وأنت روبرتو... لدي شرط عليك.

NOOR

فرفع حاجبيه:

ـ أوه.. وما هو؟

ـ ما من امرأة أخرى.. وإلا فلن أهرب في المرة القادمة إلى منزل أبي. بل سأقتلك بأحد مسدساتك.

فضحك:

ـ لن يكون هناك أي تأكيد أنني لن أكون مع امرأة أخرى سوى أن لا تغادري فراشي مطلقاً.

وعانقها بشدة وأكمل:

ـ أريد أن استيقظ كل صباح لأجدك بقربي... وهذا هو ما جرفني إلى الجنون عندما شاهدت صورة خطوبتك في الصحف وأدركت انك ستتزوجين كراولي.

ـ قل لي الحقيقة.. هل حدث الاصطدام بسبب الصورة؟

ـ الله يعلم. لا أذكر شيئاً. كنت أقود سيارتي أفكر بك، ثم لم أدر إلا وأنا في المستشفى.

ـ كانت خدعة ممتازة منك وكان على إيفا أن تكون أذكى من أن تقع.

فابتسم:

ـ إنها تحبني... وكنت لا زلت ضعيفاً، ولم ترد أن تغضبني.

ـ أنت حقاً ماكر لا تطاق.

ـ وهذا ما أبقاني حياً. وتركك معلقة على صنارتي. كنت أراقبك تتلوين بين رغبة الهرب ورغبة البقاء.

فاحمرّ وجهها:

ـ أكرهك.

ـ لا.. لن تستطيعي، لقد قاومت قدر استطاعتك وراقبت

محاولاتك للخلاص... وكنت واثقاً أنني لو أصبحت معك لوحدنا.. لاستطعت...

ـ استطعت ماذا؟

ولكنها كانت تعرف الجواب. رقصت عيناه وهو يجيب:

ـ لاستطعت الانفراد بك.

ونظر إليها متسائلاً فقالت:

ـ أيها..

وأخرس كلماتها الغاضبة بوضع يده فوق فمها.

ـ ولكنني حصلت عليك... ألم أفعل؟

ـ لم تحصل علي دون معركة في البداية.

فرفع حاجبيه سخرية.

ـ بل مجرد مناوشة بدائية، زادت من المتعة بعد قبولك.

ـ أكرهك.

ولكنها كانت تضحك.. وجذبها إليه وعانقها طويلاً.. بعد فترة سألها:

ـ ماذا عن أندرو؟ مع أنه ليس ابني فأنا أحبه يا جيني ولطالما عاملته على أنه ابني طوال حياته ولن أستطيع التخلي عنه الآن.

ـ بالطبع لا.. لقد أصبح سهلاً عليّ أن أحبه الآن. فلن تقف الغيرة في الطريق.

واخذ يلف خصلة من شعرها حول إصبعه:

ـ أولادنا لن يعانوا من شيء.

فاحمر وجهها.

ـ سنفكر بهذا عندما نصل إليه.. ولكني أظن بأنك يجب أن تسمح للويس برؤيته.. إنه من البشر. وتلقى صدمة فظيعة لمعرفته

NOOR

أن أندرو ابنه.

ـ إنه يستحق هذه الصدمة.. ! لقد تصرف بكل خبث حتى إنه غازلك، وأمامي. فقد اعتقد أنني اضعف من أن أمنعه. لقد كان دائماً غيوراً خبيثاً قذراً. ولكن زوجته امرأة رائعة، وبما أن أندرو ابن اختها يمكنه البقاء معها معظم الاوقات.

فابتسمت جيني:

ـ فكرة رائعة.

دقة على الباب أجفلتهما معاً وأدخلت ماريا رأسها ونظرت إليهما ببرود وسألت بالإيطالية:

ـ ستتناولان العشاء الليلة أم لا؟

فرد عليها بنفس اللهجة:

ـ وماذا يجعلك تظنين أننا لن نتعشى؟

فكشرت وجهها بطريقة ساخرة... فقال روبرتو مبتسماً لها:

ـ نحن قادمان. فاذهبي من هنا واتركي لي الفرصة لأقبل زوجتي.

فردت ماريا بخبث:

ـ إذا لم تكن قد فعلت هذا بعد فقد أضعت نصف ساعة من وقتك سدىً.

وخرجت من الغرفة وصفقت الباب وراءها.. فقال روبرتو متجهماً:

ـ لقد اضعت خمس سنوات سدى.. وأمامي الكثير لأعوض عنه.

وشد بيديه على جيني:

ـ ليس علينا الانتظار إلى يوم الزفاف، أليس كذلك؟

فسألته، وقد فتحت عينيها على اتساعهما ببراءة لذيذة:

ـ ننتظر ماذا؟

ـ يا لعينة.. نستطيع الزواج بعد أسبوع، ولكن الأسبوع وقت طويل بالنسبة لي.

فقالت برزانة:

ـ الصيام جيد للروح.

وهربت منه خارج الغرفة.

ونظرت إليهما ماريا:

ـ لقد أفسدتما العشاء... اعلما هذا.

فابتسمت إيفا لجيني.

ـ لا تهتمي يا عزيزتي.. ماريا معتادة على الضجيج.

ولم يكن هناك أثر للويس. جلسوا إلى المائدة، يتبادلون الحديث، ثم قالت إيفا:

ـ ستكون العائلة على أهبة الاستعداد، وسيسبب الزواج ضجة في الصحافة.

فهز روبرتو كتفيه:

ـ ليس كثيراً. أظن أن الجميع عرف الآن أن جيني معي.. وسينشغل الناس بالحساب لما سيحدث.

فقالت جيني.

ـ ليس بالضرورة، فسبب وجودي هنا سهل التفسير.

ـ حقاً؟

ـ أتعلم بماذا سيفكر الناس... لن يعرفوا بالتأكيد أنني جئت هنا لأتزوجك مرة أخرى.

فابتسم ساخراً:

NOOR

ـ وخاصة بعد وقت قصير من إعلان خطوبتك على رجل آخر.
لا بد أن هذا سيصيب كراولي بالصدمة.
فصاحت به بغيظ:
ـ أوه... اصمت.. مسكين غرانت!
ـ وهذا ما يذكرني... أعطني خاتم خطوبته لأعيده له مع رسالة شرح مناسبة.
ـ لا.. لن تفعل.. سأفعل هذا بنفسي. فأنا أعرف ما ستقول له.

فرد ببرود متصلب الوجه:
ـ أنا مدين له بالكثير. ويجب أن أنتهز أي فرصة لإبلاغه بهذا.

فتوسلت جيني:
ـ لا تفعل روبرتو أرجوك.. إنسَ الأمر.
ـ خمس سنوات؟ أتتوقعين أن أمسح خمس سنوات من الدين دون كلمة؟

ووضعت يدها فوق يده:
ـ لقد انتهى الأمر.
ونظر إليها بخبث:
ـ لا.. فأنا دائماً عصبي المزاج وأنا صائم.
فنظرت إليه إيفا بذهول.
ـ صائم روبرتو؟ بالتأكيد أنت لا تتبع حمية وأنت مريض؟

فاحمرت جيني تحت وقع عينيه الخبيثتين، واحتجت.
ـ أنت تغش في اللعب.
فشهقت إيفا وقد فهمت ما تعنيه كلماتهما، وابتسمت مشيحة بنظرها عنهما. ونظر روبرتو الى عيني جيني:

ـ حسناً.. ما قولك؟ هل أصوم أم لا؟
فتأوهت:
ـ أيها المبتز الخالي من الحياء. لماذا تريد دائماً أن تنفذ ما تريد؟

فرفع يدها ليقبلها... مع نظرة خبيثة واعدة، وقال بصوت ناعم:
ـ أنا هكذا دوماً.

NOOR